الضياء

المشرف العام
د. حمد بن الشيخ أحمد الشيباني
المدير العام لدائرة الشؤون الإسلامية
والعمل الخيري

رئيس التحرير المسؤول
سامي عبد الله قرقاش

رئيس التحرير التنفيذي
عادل جمعة مطر

مدير التحرير
محمد توفيق أحمد

سكرتير التحرير
أشرف محمد شبل

هيئة التحرير
بهاء الدين السنهوري
فاطمة أرباب

التصميم والإخراج الفني
جمال الدين حلوم

المراسلات باسم
هيئة التحرير
دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري
ص.ب 3135 دبي
هاتف: 6087513 - 04

هاتف: 6087777 - 04
فاكس: 6087555 - 04
www.dicd.gov.ae

الرؤية

أن تكون الدائرة الرائدة في مجال الإرشاد والتوجيه الديني والخيري على المستوى الإقليمي

الرسالة

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

كلمة.. الضياء

بر الوالدين وتربية الأبناء

حرص الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على ترسيخ مبدأ التربية السلوكية، في حياة الفرد والمجتمع واحترام حق الوالدين وبرهما والإحسان إليهما، ومؤكداً أن برهما من أقوى الأسباب لدخول الجنة وسعة الرزق وإجابة الدعاء.

فبر الوالدين من أعظم القربات إلى الله عز وجل فبه تكفر السيئات وتجاب الدعوات وبفضله تنشرح الصدور وتطيب الحياة ويبقى الذكر الحسن بعد الممات.

وسبق الإسلام العالم الغربي بأكمله في الاهتمام بالوالدين والإحسان إليهما ورعايتهما الرعاية الكريمة التي تكفل لهما المعيشة الطيبة فإن مقام الوالدين في الإسلام لا يفي به يوم أو شهر وإنما يستوعب الحياة بطولها وعرضها حيث إنهما وسيلة الوجود المباشرة التي جعلها الله عز وجل سبباً لخلق البشر،ومن أجل ذلك فقد قدس حقهما على ذريتهما فقال عز وجل: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب أرحمهما كما ربياني صغيرا﴾ [الإسراء ٢٣-٢٤].

وغني عن البيان أن ما يبذله الأبناء من جهد لاسترضاء الوالدين لا يكافئ شيئاً ولو قليلاً مما قدمه الوالدان طواعية وبمحض فطرتهما التي طبعتهما على العطاء دون مقابل.

د. حمد بن الشيخ أحمد الشيباني
المدير العام

الضياء

العدد 103

ذكرى الإسراء والمعراج ... دروس وعبر 30

حول كيفية... قيام المسلمين بدورهم الحضاري 24

المهيمن من أسماء الله الحسنى 54

كيف تشجع ابنك على القراءة ؟ 18

نسخة من القرآن الكريم عمرها ٥٠٠ عام في معرض بماليزيا 4

صورة الغلاف

حضـــارة الإســـلام.. في حـوض المتـوسـط

صقلية.. الحاكم نورماني والحضارة إسلامية

المحتـــويات

واخفض لهما جناح الذلّ	12
القرآني .. من أعلام الحوار مع الآخر	16
هيا نصافح الملائكة	22
إرم ذات العماد	26
الإسلام والنور	28
الإمـــام البخـــاري .. نموذج سيرة	36
المخـدرات .. الطرق الوقائية والعلاجية	40
تناول الخمور .. بين الأسباب والعلاج	42
آداب إسلامية .. آداب الإسلام في اللباس	52
فتاوى	61
كيف تبدأ التغيير	64

من المحرر

لا ينكر أحد أو يشك في دور الإعلام الخطير وأثره الفعال في مختلف قضايا الإنسانية ومجالات حياتنا اليومية، وكم تحتاج أمتنا الإسلامية الآن إلى إعلام إسلامي هادف متميز ولعل أولى صور هذا التميز (الصدق) الذي هو معيار مهم إضافة إلى كونه يكسب الإعلام الصراحة والواقعية والمكاشفة البناءة في تقديم الحقيقة وإيضاحها فنحن فعلاً بحاجة إلى إعلام إسلامي واقعي ومعاصر ليعالج قضايا الأمة معالجة دقيقة أمينة.

فالبلاغ والبيان من أسس الرسالة الإسلامية ومن مهام الرسل والأنبياء الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، يقول الدكتور إبراهيم إمام:

(الإعلام الإسلامي فلسفة متكاملة، قاعدتها الإيمان وقمتها الالتزام بالسلوك القويم وبينهما جملة من المواقف والأفكار تتجسد فيما يأمر به الله ورسوله وفيما ينهيان عنه) ولم يعد الإعلام إخباراً أو دعاية بل أصبح عملية متعددة الميول تعتمد على دراسات متقدمة ومن سمات النظرية الإعلامية الإسلامية:

١- تفوق الشعارات الصادقة أي الظهور الإعلامي.
٢- إذاعة الحقيقة في وقتها.
٣- حسن استخدام الوسائل المتقدمة.
٤- الوقاية ضد عناصر الهدم في المجتمع.
٥- إبراز الطابع المميز لشخصية الأمة.
٦- الدور الرائد في هداية البشرية.

مدير التحرير

إعداد/أشرف محمد شبل

المصحف بطريقة برايل

الرياض

أعلن المشرف العام على مطابع خادم الحرمين الشريفين لطباعة المصحف الشريف د. ناصر بن علي الموسى مؤخراً عن بدء طباعة القرآن كاملاً بطريقة (برايل) الخاصة بالمكفوفين، قائلاً: إن المملكة ستوزعه في الداخل والخارج مجاناً.

وقال الموسى: (إن المطابع أتمت طباعة القرآن الكريم كاملاً حيث سيتم توزيعه مجاناً على المكفوفين داخل المملكة وخارجها، وعلى المكتبات والمؤسسات والمعاهد والمراكز التي تعنى بالمكفوفين المسلمين في العالم). وأضاف أنه تم إرسال عدد كبير من هذه المصاحف (إلى الحرم المكي والمسجد النبوي الشريف لكي تكون في متناول أيدي المكفوفين من الحجاج والمعتمرين والزوار).

من جانب آخر شهدت العاصمة السعودية الرياض، إشهار ٣٥٨ شخصاً من جنسيات مختلفة إسلامهم؛ نتيجة لجهود دعوية من المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات خلال عام واحد. حيث نظم المكتب ١١٨١ عملاً دعوياً ووزع ٣٦١١٨٣ نسخة من مختلف الإصدارات الدعوية والإرشادية بلغات متعددة.

استغرق نسجه ١٠ سنوات وتوفي شاغله بعد ٣ أيام من إتمامه

كراتشي

القرآن الكريم مصدر هداية البشر وهو محل إلهام وعشق لكثير من الناس وكثير من أصحاب وأرباب المهن الذين طوعوا فنونهم في حفظه وخطه وكتابته.. فلا تخلو بقعة من بقاع الأرض تولى نحوها الإنسان إلا وسيجد هناك مخطوطات ثمينة تحفظ وتصون ود عشاقها على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وحبهم لكلام رب العالمين.

وتشير الروايات إلى أن الآيات القرآنية كانت مكتوبة على جلود وعظام الابل والغنم وأوراق نبتة التمر وغيرها ومحبرتها كانت مصنوعة من مادة محروقة.

أما في عصرنا الراهن وبعد التطور الهائل الذي شهدته آلات الطباعة واستعمال الورق فقد تفنن المهرة في الاستفادة من هذه الآلات لطباعة ونسخ الآيات القرآنية على الأوراق الأكثر جودة وبأشكال وروائع فنية تحمل بصمات حب هؤلاء المهرة للمصحف الشريف.

وفي إطار هذا الحب والعشق يحفظ مسجد «بادساشي» بمدينة «لاهور» الباكستانية عشقا فريدا لنسخة من نسخ القرآن الكريم يعتقد أنها الوحيدة في العالم التي نسج صاحبها آياتها بالخيط الخاص وقسمها إلى ثلاثين قسما وهي تحفظ في صندوق زجاجي بقاعة عرض خاصة في المسجد.

ويقول السيد محمد يوسف مسؤول الضيافة بالمسجد: إن صانع هذه النسخة يدعى عطار محمد في العقد الرابع من عمره توفي بعد إتمام نسجها بثلاثة أيام، مشيرا إلى أن أحدا لم يعرف عن هذه النسخة من القرآن الكريم إلا بعد وفاة صانعها الذي أمضى عشر سنوات في نسج الآيات القرآنية طلبا لنيل الطمأنينة والسكينة النفسية.

نسخة من القرآن الكريم عمرها ٥٠٠ عام في معرض بماليزيا

كوالالمبور

جذبت نسخة من القرآن الكريم، يرجع تاريخها إلى ٥٠٠ عام مضت، أنظار زائري معرض التراث المقام في مدينة كوتا باهارو الماليزية.

وقال الدكتور عبد الرحيم رجب منظم المعرض الذي أقيم مؤخراً، بحسب ما نشرته وكالة الأنباء الوطنية الماليزية (برناما): إن ما تنفرد به هذه النسخة من القرآن الكريم لا يتمثل فقط في عمرها الزمني بل أيضاً في طولها الذي يصل إلى متر واحد وعرضها الواسع.

وأوضح رجب أنه بعد دراسة فن خطوط هذه النسخة من القرآن والمادة المستخدمة في كتابة هذه الخطوط فإنه يعتقد أن هذه النسخة جاءت من أندونيسيا وتمت كتابتها على الجلد ويرجح أن تاريخها يعود إلى (٥٠٠) عام مضت.

وأشار منظم المعرض إلى أنه الى جانب هذه النسخة يعرض المعرض نسخة أخرى من القرآن الكريم يبلغ طولها نصف متر وتمت كتابتها على سعف النخيل، وأضاف رجب أن الهدف من تنظيم هذا المعرض هو إظهار عظمة القرآن الكريم ومساعدة الناس على إدراك قيمة فن الخط القرآني.

أبحاث تؤكد وجود الإسلام في البرازيل منذ ١٢٠٠ عام

برازيليا

ذكر إمام ورئيس الجمعية الخيرية في البرازيل عبدالباقي سيد أحمد عثمان، بأن هناك أبحاثاً تاريخية تدل على وصول المسلمين إلى البلاد منذ ١٢٠٠ عام. مدللا على ذلك بوجود بعض النقوش في مغارات جبلية في ولاية باهيا في شمال البرازيل وبها كلمات كتبت باللغة العربية يعود تاريخها إلى ١٢٠٠عام. وكذلك وجود قبائل من الهنود الحمر لهم عادات في اللباس تشبه الزي الإسلامي(المغربي) واستعمالهم لبعض المصطلحات اللغوية العربية. ويقول رئيس الجمعية الخيرية: إن البعض يذكر وجودهم مع وصول البرتغاليين للقارة منذ خمسمائة سنة كبحارة وأدلة إبحار إضافة إلى الزنوج المسلمين الذي احضروا من أفريقيا كرقيق لعمارة القارة الجديدة منذ القرن السابع عشر وهؤلاء قاموا بعدة ثورات كانت تهدف إلى إنشاء دولة إسلامية وتحرير الرق التي بدأت عام ١٨٠٧ وانتهت عام ١٨٣٧ أضف إلى هذه الدلائل الإحصائيات الرسمية للتجمعات السكانية عام ١٥٦٠ للميلاد والتي دلت على أنه من أصل ١٠آلاف نسمة بولاية برنامبوكو في شمال البرازيل ٨ آلاف كانوا من الأفارقة وأغلبهم من المسلمين.

بنديكيت . . . يقر بانتشار المسيحية في أمريكا بحد السيف

روما

أقر بابا الفاتيكان بنديكيت السادس عشر بتعرض سكان أمريكا الأصليين (للمعاناة والظلم) جراء التبشير وذلك بعد أيام من طلب الرئيس الفنزويلي هوغو تشافيز منه الاعتذار عما حاق بسكان أمريكا اللاتينية جراء نشر المسيحية قسرا.

وقال البابا في اللقاء الأسبوعي الذي يعقده كل أربعاء بأتباع الكنيسة في ساحة القديس بطرس (ثمة ظلال شابت عملية التبشير المسيحي في أمريكا اللاتينية).

واستطرد مقرا بأنه (لا شك أن ذكرى ماض مجيد لا يمكن أن تتجاهل الظلال التي رافقت عملية أنجلة (نشر المسيحية والإنجيل) أمريكا اللاتينية معترفا بأنه (من غير الممكن فعلا نسيان المعاناة والظلم التي انزلها المستعمرون المسيحيون بالسكان الأصليين).

وقال الحبر الأكبر: إن الاصطلاحات الإنسانية الرئيسية (غالبا ما دهست).

وكان البابا قد نفى في سان باولو مؤخراً حقيقة فرض العقيدة المسيحية قسرا على سكان أمريكا اللاتينية بما أودى بحياة عشرات الملايين منهم.

وعلى الفور قام الرئيس الفنزويلي هوغو تشافيز أثر هذا النفي بالحث على اعتذار الكنيسة الكاثوليكية والبابا لسكان أمريكا الأصليين وخاصة أمريكا الجنوبية عما ورد منه في هذا الشأن حيث قال في برنامج تلفزيوني في كاراكاس: إن ما وقع في أمريكا اللاتينية (كان أسوأ وأخطر من الهولوكوست والابادة إبان الحرب العالمية الثانية).

واعتبر تشافيز أن ما تعرض له أهل أمريكا اللاتينية خلال عملية التبشير (لا يمكن لأحد انكاره حتى قداسة البابا الذي لا يمكنه أن يأتي إلى أرضنا لينكر الابادة التي تعرض لها السكان الأصليون).

وناشد تشافيز البابا يومها (كرئيس دولة يرتدي ثياب مزارع فنزويلي بسيط) على التقدم باعتذار لشعوب أمريكا الأصليين قائلا: (إن رفات السكان الأصليين من ضحايا المذابح التي ارتكبها الغزاة الأوروبيون هي خير شاهد على خطأ تصريحات البابا).

١٣٠٠ مسجد و٤ معاهد أزهرية في الكاميرون

» ياوندي

أكدت السفيرة منى إسماعيل سفيرة الكاميرون بالقاهرة أن عدد المساجد بالكاميرون وصل إلى ١٣٠٠ مسجد، كما توجد ٤ معاهد أزهرية تابعة للأزهر الشريف تعمل بالكاميرون بمدرسين ومناهج أزهرية مصرية.

وقالت السفيرة لمراسل وكالة الأنباء الإسلامية بالقاهرة إن اهتمامنا بالتعليم الإسلامي أصبح سمة من سمات شعب الكاميرون حيث لدينا ٤١٦ طالباً وطالبة يدرسون بالأزهر وجامعته بمصر، كما يوجد لدينا قرابة ١٤٠٠ حلقة لتحفيظ القرآن الكريم في مساجد الكاميرون وغيرها.

وأضافت أن حلقات التحفيظ خرجت قرابة ٥٠٠٠ حافظ للقرآن الكريم، ونحن حريصون على التوسع في حلقات التحفيظ، حيث تحفظ أبناءنا من كل شاذ وتطرف، وهذه الحلقات للتحفيظ، تدعم من قبل الجمعيات الخيرية في الكاميرون والإمارات والسعودية والكويت.

تزايد عدد مسلمي النرويج

» أسلو

أكدت كاري فوكت باحثة في علوم الدين من جامعة أوسلو النرويجية أن الاهتمام بالإسلام يزداد بين الشباب في النرويج وخاصة الفتيات، مبينة أن السبب في ذلك يعود إلى أن هؤلاء الشباب وجدوا في الإسلام ما يبحثون عنه من هدوء وسكينة وتكريم للإنسان واحترام إنسانيته.

وتبين من هذا البحث أيضاً أن الكثير ممن أسلموا اطلعوا على حقيقة الإسلام من خلال تزاوجهم بالمسلمين أو اختلاطهم بهم، حيث لوحظ أن بعض هؤلاء الشباب يرتادون المراكز الإسلامية والمساجد لحضور دروس الدعاة والأئمة ومحاضراتهم، وقد وصل عدد الذين اعتنقوا الإسلام من النرويجيين إلى حوالي ١٠٠٠ شخص خلال بضعة أعوام.

دراسة طبية أميركية تؤكد علاج القروح السكرية بالعسل

» واشنطن

قالت دراسة طبية أميركية: إن معالجة القروح السكرية بالعسل قد يحول بمشيئة الله دون بتر أطراف المصابين بالسكري.

وقد أجرت باحثة في جامعة ويسكنسون اختبارا للتشجيع على استعمال العلاج بالعسل على نطاق واسع بعدما ساعدت نحو ١٢ من مرضاها على تجنب بتر رجلهم. ويتمثل العلاج بوضع طبقة كثيفة من العسل على التقرحات بعد إزالة اللحم المتآكل والجراثيم.

وقالت الباحثة البروفسورة جينيفر ايدي وهي من كلية الطب والصحة العامة في جامعة ويسكنسون: إن العسل يقتل الجراثيم لأنه يحتوي على مادة الاسيد ويمنع الجرثومة من تعزيز مقاومتها للمضادات الحيوية.

وأشارت ايدي إلى أن هذه المسألة بالغة الأهمية للصحة العالمية إذ أنه يتم إجراء عملية بتر كل ٣٠ ثانية في العالم.

وأكدت الباحثة أنها لجأت إلى العلاج بالعسل بعدما فشلت كل العلاجات الأخرى..

وقالت إننا أوقفنا إعطاء المرضى بالسكري جميع المضادات الحيوية عندما بدأنا العلاج بالعسل وحينها بدأت جراحهم تلتئم بسرعة.

وتأمل البروفسورة جينيفر ايدي في استكمال انجاز هذا البحث ونشر نتائجه بحلول عام ٢٠٠٨ أو ٢٠٠٩م.

جهاز يكتشف أخطاء نسخ المصحف الشريف

القاهرة

وافق الأزهر على مشروع (البصمة القرآنية) للقرآن الكريم، وهو جهاز الكتروني توصلت إليه مجموعة باحثين من أساتذة الالكترونيات في مصر تحت الإشراف الشرعي للأزهر، يساعد على اكتشاف أي أخطاء في نسخ القرآن في لحظات.

وقرر الأزهر اعتبار برنامج (الإعجاز) وسيلة علمية لمراجعة المصحف الشريف، مما يقضي على أي احتمال خطأ في النسخ التي يتم طرحها بالأسواق، وقال الدكتور نصر فريد واصل رئيس اللجنة الشرعية المعينة من الأزهر: (إن هذا البرنامج يعتبر فتحاً جديداً يستفيد منه أساتذة الشرع وعلماء الدين، ويوضح موطنا جديدا من مواطن الإعجاز لغير المسلمين، مما يساعد على تأكيد أن النص القرآني معجز وليس من إبداع بشر).

وقال واصل: إن أول استفادة من برنامج (البصمة القرآنية) هو القضاء على الخلاف الفقهي حول البسملة، وهل هي جزء من الفاتحة أم لا، حيث تم التوصل إلى أنها الآية الأولى من الفاتحة، وبالتالي لا تصح الصلاة بدونها.

وقال الدكتور إبراهيم كامل رئيس الشركة المنفذة للبرنامج: (تمت الاستفادة من هذا البرنامج في معرفة كثير من أسرار الحروف الأربعة عشرة المتقطعة، التي بدأت بها الآيات القرآنية، وتم بناء البرنامج على أساس الجذور اللغوية لكل حرف وكلمة من القرآن، بحيث يستحيل استبعاد حرف واحد من القرآن دون اكتشافه في لحظات، مما يقضي على أية محاولة لتحريف القرآن).

ومن المقرر أن يتم طرح البرنامج بعد اتخاذ كافة الوسائل العلمية التي تمنع اختراقه، وتجعله مبسطا وسهل الاستخدام للجماهير.

موسوعة عن مدرسات القرآن الكريم في جامعة أكسفورد

أكسفورد

قامت جامعة أكسفورد بتأليف موسوعة من ٤٠ مجلداً حول عالمات الإسلام في مجال تدريس القرآن ونقل الحديث.

وتتحدث هذه الموسوعة عن سيرة ونشاطات أكثر من ٨ آلاف امرأة مسلمة ناشطة في مجال القرآن والحديث منذ صدر الإسلام وحتى اليوم.

وقال مؤلف الموسوعة الأستاذ في مركز الدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد محمد أكرم: إنه توصل إلى أن هناك الكثير من النساء اللاتي نشطن في مجال تدريس القرآن ونقل الأحاديث.

وأشار إلى أنه بدأ بتأليف هذه الموسوعة منذ ٨ سنوات ولكنه لم يكن يتوقع أن تأخذ كل هذا الوقت.

وقال: كنت أظن أن هذه الموسوعة ستنتهي في مجلد واحد يضم سيرة ونشاطات حوالي ٢٠ إلى ٣٠ امرأة عالمة.

بمشاركة الشؤون الإسلامية في دبي

المؤتمر العالمي منهجية الواقع الماثل..

ميثاق جامع ودليل للمفتي والمستفتي

شاركت دائرة الشؤون الإسلامية والعمل في دبي في المؤتمر العالمي (منهجية الإفتاء) الذي عقد بدولة الكويت ببحث قدمه الدكتور أحمد عبد العزيز الحداد رئيس قسم الفتوى كبير مفتين الدائرة بعنوان (ظاهرة الإفتاء في عالم مفتوح)بين فيه أهمية البرامج الفضائية في نفع البشرية داخل الدولة وخارجها والعالم كله في تفقيه الناس وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم ومدى استفادة الجماهير من هذه البرامج لاسيما الجاليات الإسلامية في العالم الخارجي، كما بين البحث الذي تقدم به ممثل الدائرة مخاطر الإفتاء على الفضاء إذا صدر من غير أهل الاختصاص، ومدى تأثير مثل هذه الفتاوى على الناس وما تسببه من ارتباك لهم .

هذا و اعتمد المشاركون في المؤتمر الذي أقامه المركز العالمي للوسطية التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية برعاية صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر أمير دولة الكويت توصياتهم الختامية وذلك في نهاية أعمال المؤتمر بعد عشر جلسات علمية فضلا عن جلستي الافتتاح والختام واستعراض نحو (٣٠) بحثا اشتملت على مقدمات الفتوى وموجبات تغيير الفتوى والمرجعية ومؤسسات الإفتاء والفتوى والأقليات وعولمة الفتوى ودراسة ميثاق جامع لأصول الإفتاء وشروط المفتي. وجاءت توصيات المؤتمر كما يأتي:

أولا: مقدمات الفتوى:

١- نصوص القرآن الكريم والسنة هي المرجع الأول للفتوى، فإن كان النص قطعي الثبوت والدلالة لم يجز مخالفته، وان كان ظني الثبوت أو الدلالة، كان محلا لاجتهاد المجتهدين بلا إنكار بينهم.

٢- وجوب الالتزام بما أجمع عليه علماء الأمة قطعيا.

٣- الإفادة من اجتهادات علماء الأمة السابقين، والبناء عليها، ووجوب الالتزام بالمعايير المعتبرة عند أهل العلم في الاستدلال.

٤- ضرورة تحقق المؤهلات العلمية الواجب توافرها في القائم بأمور الإفتاء كالعلم بالقرآن والسنة، ومواطن الإجماع، والمعرفة التامة بقواعد الاستنباط، مع ملازمة التقوى.

٥- مراعاة المفتى للجانب التربوي والتعليمي عند إجابته عن أسئلة المستفتين.

٦- مجالات الاجتهاد مقصورة على الأحكام الشرعية الظنية، والقياسية، والمصلحية، والمبنية على العرف، والأدلة المختلف عليها، مع مراعاة أسباب تغير الفتوى.

الإفتاء في عالم مفتوح ..والأمـــل المرتجى

٧- لا تعتبر الفتوى الصادرة عن أي جهة كانت صحيحة، إلا إذا اعتمدت على دليل شرعي معتبر، وكانت متسقة مع المقاصد الشرعية.

٨- أهمية الاستفادة من ذوي الخبرات في مجالات الحياة المختلفة في عملية صناعة الفتوى، في حدود تخصصاتهم.

ثانيا: تغير الفتوى:

١- الفتاوى القابلة للتغير هي الفتاوى المبنية على الأعراف، أو الأدلة الاجتهادية الفرعية، أو المصالح المتغيرة، أو الضرورات أو الحاجات القائمة مقام الضرورات ونحوها.

٢- الغاية من تغير الفتوى هي العمل على إبقاء الأمور تحت حكم الشريعة، تأكيدا لأهم خصية من خصائصها، وهي مرونتها، وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

٣- الفتاوى القائمة على الضرورات يجب أن تنضبط بالتالي:

أ- أن تكون الفتوى القائمة على الضرورة فيما يخص الأمة صادرة عن اجتهاد جماعي، دون أن ينفرد بها آحاد الفقهاء والمفتين، إلا أن تكون الضرورة مما لا يختلف فيها.

ب- أن يستعان في تقدير الضرورات والحاجات الملحة في الأمور العلمية المتخصصة، كالاقتصاد والطب وغيرهما، بأهل الاختصاص، وذلك تمهيدا لإفادة الفقهاء منها في استنباط الحكم الشرعي لها.

ج- أن يقوم بتقدير الضرورة في الأمور العادية والمسائل الشخصية أصحابها، بعد الرجوع للمفتين، وذلك اعتبارا لاختلاف الأشخاص والظروف والأحوال والبيانات.

د- ألا تعمم الفتوى الخاصة المبنية على أساس الضرورة على جميع الأحوال والأزمان والأشخاص، إذ أن الضرورة تقدر بقدرها.

هـ- التأكيد على أن فتوى الضرورة حالة استثنائية تنتهي بمجرد انتهاء موجبها، ووجوب السعي لإيجاد بديل عنها، قدر المستطاع.

٤- على المفتي أن يراجع اجتهاداته، وأن يواكب تطورات المعلومات السريعة، سواء أكانت المعلومات شرعية أم حياتية، ليحقق المقاصد الشرعية والمصالح المرعية.

ثالثا: مرجعية الفتوى

١- تعزيز دور المجامع الفقهية في قضايا الأمة، والتأكيد على جهود مؤسسات الإفتاء في القضايا المحلية التي تتعلق بكل بلد، وتقوية أوعية الاجتهاد الجماعي من مجامع ومؤسسات ودور إفتاء للنهوض بواجبها ودعم استقلالها، لتستعيد ثقة الأمة في مرجعيتها.

٢- أهمية تطوير آلية الاجتهاد الجماعي، وتفعيل دوره، والعمل على وضع ضوابطه وتيسير إجراءات تحقيقه.

٣- الدعوة إلى توحيد المعايير وتجميع القواعد الفقهية ذات

د. أحمد عبد العزيز الحداد

الأثر في عملية الاستنباط خاصة في المجالات المالية والاقتصادية والسياسية والإعلامية، وغيرها، لتحقيق التقارب في الفتاوى والأحكام.

٤- مراحل آلية الإفتاء في المستجدات، تكون وفق ما يلي

أ- التوضيح الدقيق للمسألة من قبل خبراء متخصصين

ب- عقد ندوات متخصصة تشبع المسألة بحثا.

ج- رفع تقرير لجهات الإفتاء المتخصصة يبين الاتجاهات والجوانب للنازلة المستجدة لتقوم هي بتقرير الحكم

٥- يحسن بالمجامع الفقهية وهيئات الفتوى توجيه السائل في القضايا المهمة إلى بدائل مشروعة عند تحريم بعض الصور الممنوعة.

٦- دعوة الدول الإسلامية للعمل بالفتوى الجمعية، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف الخاصة بكل دولة.

٧- تفعيل الاجتهاد الجمعي في التشريعات الخاصة بالعلاقات الدولية، والاتفاقات الخاصة وحث الدول الإسلامية على العمل بها.

٨- تعزيز روح التعاون والتكامل بين المرجعيات العلمية والدولة في كل قطر، والاحترام المتبادل بينهما، بما يحقق مقاصد الشرع ويرعى مصالح الخلق.

٩- على الجهات الشرعية المعنية في كل بلد الإشراف على المفتين فيها، والعمل على تحسين أدائهم، واتخاذ الأساليب المناسبة لمعالجة أوضاع من يتصدى للفتوى من غير أهلها.

١٠- المبادرة إلى إصدار الفتاوى في القضايا المستجدة، قبل استغلالها من قبل جهات غير مؤهلة.

١١- تفعيل التنسيق بين المجامع الفقهية تحقيقا للتكامل، وتفاديا للتناقض والتضارب في القرارات.

١٢- العناية بالمؤسسات الرسمية للإفتاء وتدعيمها بالعلماء الثقات المؤهلين للفتوى، وتعزيز واجبها المنوط بها شرعا في نصح الراعي والرعية، دون استجابة للمؤثرات التي تحرف الفتوى عن مسارها السليم.

١٣- إنشاء مراكز ومعاهد للتعليم والتدريب على الفتوى واستكمال أدواتها.

١٤- إنشاء قاعدة بيانات ومركز معلومات يجمع فتاوى جهات الإفتاء في العالم لخدمة الباحثين والعملاء.

رابعا: الفتوى والأقليات:

١- تفعيل فقه المقاصد والمصالح المعتبرة في الإفتاء للأقليات محافظة على سلامة حياتهم الدينية سواء على مستوى الرد أو الجماعة، وتطلعا إلى تيسير نشر دعوة الإسلام.

٢- التأصيل لفقه العلاقة مع غير المسلمين (أمة الدعوة) في الواقع الحضاري والعالمي.

٣- اعتبار المؤسسات والمراكز الإسلامية في بلاد غير المسلمين قائمة مقام التحكيم في الرجوع والاحتكام إليها في منازعاتهم وسائر أمورهم بما ينسجم ويتوافق مع قوانين تلك الدول.

٤- الاهتمام بالقواعد الفقهية الميسرة في الإفتاء للأقليات، من مثل مراعاة التمييز، ورفع الحرج، وتغير الفتوى بتغير الزمان، وتنزيل الحاجة منزلة الضرورة بشروطها، والنظر في المآلات.

على المفتي أن يراجع اجتهاداته، وأن يواكب تطورات المعلومات السريعة، سواء أكانت المعلومات شرعية أم حياتية، ليحقق المقاصد الشرعية والمصالح المرعية

خامسا: اتجاهات ومناهج الفتوى في القديم والحديث:

١- العمل على إحياء عملية التجديد في الأحكام الفقهية والمرتبطة بعلل متغيرة، كالعرف، والمصالح، والضرورات، مع الالتزام بالضوابط الشرعية، وذلك لتحقيق مصالح الأمة الإسلامية.

٢- لا ينكر على المخالف في القضايا الاجتهادية، مع الإفادة من ذلك الاختلاف في تحقيق التقارب.

٣- مخالفة القضايا القطعية، ومنها ما أجمعت عليه الأمة، أو ما علم من الدين بالضرورة، شذوذ مردود يجب التصدي له، بكشف مواطن ضعفه وشذوذه، بعد التناصح مع قائله، ومحاورته بالحسنى، للعدول عنه.

٤- إذكاء ملكة الاستنباط الفقهي، بالعودة إلى شمولية التدريس، بحيث يشمل علوم الشريعة وعلوم الآلة، وبخاصة علوم اللغة العربية دون إغفال التخصص في المراحل النهائية.

سادسا: عولمة الفتوى:

١- حث المجامع الفقهية ومؤسسات الفتوى بأنواعها على الاستفادة من الوسائل التكنولوجية الحديثة في نشر الفتوى.

٢- التحذير من فوضى الإفتاء في وسائل الإعلام المختلفة بإبراز آثارها السلبية وتحديد صفات من يتصدى لها، ممن تتوافر فيه أهلية الإفتاء والمعرفة بالواقع.

٣- اختيار المفتين من ذوي الخبرة والكفاية للإفتاء من خلال الفضائيات.

٤- تأسيس جهاز إشرافي ورقابي خاص بالإفتاء مكون من ممثلي وسائل الاتصال الحديثة وممثلين عن المجامع الفقهية يهتم بما يلي:

أ- تحديد معايير وضوابط الإفتاء على مواقع الانترنت عامة، والمتخصصة في الإفتاء خاصة.

ب- الدعوة إلي عقد مؤتمرات وندوات للإفتاء يشارك فيها المفتون وأصحاب الفضائيات، للوقوف على منهجية الإفتاء عبر الفضائيات والالتزام بها.

ج- إبراز الآثار الايجابية للفتوى المباشرة على الفضائيات وبخاصة لسكان البلاد التي يقل أو ينعدم فيها الفقهاء

د- متابعة الفتاوى الصادرة عن القنوات ومراجعتها.

٥- حث المفتين والمشرفين على فتاوى الفضائيات على تدعيم فتاواهم بقرارات المرجعيات الشرعية المعتمدة.

٦- دعوة معدّي ومقدّمي البرامج الدينية، ومحرري الشؤون الإسلامية، في الصحف والمجلات وسائر طرق الإعلام الأخرى، إلى ضرورة الاستعانة بعلماء الشرع الموثوقين، للإشراف على برامجهم وعدم فتح الباب أمام غير المؤهلين للعبث بها تحقيقا للتعاون المثمر بين الجهات العلمية والجهات الإعلامية.

حث المجامع الفقهية ومؤسسات الفتوى بأنواعها على الاستفادة من الوسائل التكنولوجية الحديثة في نشر الفتوى

سابعا: ميثاق الفتوى:

أ- الدعوة إلى وضع ميثاق للإفتاء.

ب- دعوة جهات الإفتاء للالتزام ببنود هذا الميثاق.

ج- إصدار دليل للمفتي وآخر للمستفتي يتضمن التوعية بثقافة الفتوى. وتفعيلا للتوصيات الصادرة يقترح المشاركون في المؤتمر المشاريع التالية:

١- إصدار ميثاق للفتوى يمثل قالبا قانونيا، معتمدا من المجامع الفقهية ودور الفتوى.

٢- إنشاء موسوعة شاملة للفتاوى المعاصرة تجمع الفتاوى والقرارات الصادرة عن المجامع الفقهية ولجان الفتوى.

٣- وضع منهج لتدريس أصول الإفتاء في الجامعات الإسلامية والكليات الشرعية.

٤- إنتاج برامج متخصصة للإفتاء الجماعي حول قضايا الأمة الكبرى.

٥- إنشاء معهد متخصص في التدريب والتأهيل للفقه والإفتاء.

٦- يتولى المركز العالمي للوسطية التنسيق مع جهات الاختصاص لإنفاذ هذه التوصيات.

وفي الختام رفع المركز العالمي للوسطية إلى مقام صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الصباح عظيم الشكر والامتنان، لاستضافته ورعايته لهذا المؤتمر. ويتقدم لسمو ولي العهد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، ورئيس مجلس الوزراء الشيخ ناصر المحمد الصباح بالشكر والعرفان لمباركتهما وتشجيعهما لمثل هذه المؤتمرات الهادفة، كما يتقدم المركز بالشكر والامتنان إلى ممثل راعي المؤتمر على حسن الضيافة وحفاوة الاستقبال.

واخفض لهما جناح الذلّ

ضياء الأسرة
د. غازي مختار طليمات
كاتب من سوريا

للإعجاز في كتاب الله عز وجل ضروب، لا يحيط بها عالم واحد، مهما يؤت من علوم الدين والدنيا، ويوهب من عمق التفكير ودقة التعبير. فيه إعجاز كوني، لا يرقى إلى علمائه إلا فلكي واسع الأفق كتقدير القمر منازل، وتكوير الليل على النهار. وفيه إعجاز علمي لا ينفذ إلى أسراره إلا طبيب أديب، كتحول نطفة من ماء مهين إلى إنسان سوي في قرار مكين، وفيه إعجاز تشريعي لايقدره حق قدره إلا قاض درس شرائع البشر، ووقف على ما فيها من تعارض وتناقض، كالحدود التي عالج بها القرآن الكريم المروق والفسوق، وفيه إعجاز بياني يتمثل مرةً في الإعجاز، حين يمتلئ اللفظ اليسير بالفكر الكبير كقوله جلّ ذكره: ﴿وَلَكُمْ فِي القَصَاصِ حَياة﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٧٩]

ويتمثل ثانية في براعة العرض كتلخيص انحسار الطوفان بآية واحدة من (سورة هود، الآية: ٤٤] ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾. ويتجلى ثالثة في توقيع الفواصل الطروب الآخذة بمجامع القلوب كالفواصل الموقعة في سورة الرحمن.

والخوض في الحديث عن هذه الضروب من الإعجاز يحتاج إلى أساتذة جهابذة، برع كل منهم في الضرب الذي ندب نفسه لتعلمه وتعليمه، وتحليله وتفسيره، وللتفسير شروط وأدوات، لا أملك أثارة منها. ولهذا، فأنا لا أجرؤ على أن أهرف بما لا أعرف، بل اجتزئ من التفسير بالتفكير فيما يعلمنيه العلماء، فإذا تجرأت فعلي التدبر والفكر بعد الدهشة والحيرة فيما أسمع وأقرأ. غير أنني أحياناً أحس بالقلب لا بالعقل، وبالحدس لا بالمنطق، إعجاز، أذوق حلاوته، ولا أستطيع أن أذيقها غيري، أو أن أنقل ما أحس من الصدر إلى الفكر، ومن الجنان إلى اللسان لعجزي عن الغوص مغاص المفسرين.

ومن الآيات المعجزات التي أقف عندها وقفات تطول، ولا تمل قوله تعالى في (سورة الإسراء، الآية: ٢٤] ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾. فهذه الجملة من الآية، أو الدرة من العقد تثير في من الخواطر والمشاعر أموراً منها أنها تذكرني بقصد الخلق، وما رافق خلق البشر من سجود الملائكة وتمرد إبليس. وعلة هذه الإثارة ورودها بعد الأمر بالعبادة في قوله تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ فيخيل إلي أن الولد العاق شيطان صغير، يريد أن يتمرد ويتفرد، ولمنعه من التمرد والتفرد نزل الأمر الصريح بخفض الجناح بعد الأمر بالعبادة كما اقترن سجود الملائكة بتمرد إبليس، ثم بطرده.

وخفض الجناح كالسجود، فيه طاعة تقارب العبادة، وتمرد العاق كتمرد إبليس فيه كنود ورفض، والرفض كفر. فحينما أتمثل الموقفين أجد في خفض الجناح تكريماً للوالدين، لم يظفر بمثله أحد إلا سيدنا آدم الذي انخفضت له أجنحة الملائكة. ولما كانت الصلة بالملائكة مقصورة على الأنبياء فقد وهب الله الوالدين-وهما من البشر-ملكاً صغيراً، يخفض لهما جناح الذل من الرحمة، على نحو، يشبه سجود الملائكة لآدم. حينئذ أجد في الأبوة والأمومة سمواً، لا يعدل، سموٌ آخر.

تنتقلا من بعير البداوة إلى عرش الحضارة بلا سلطان ولا صولجان.

والثالثة أن القرآن الكريم ترجم الإكبار بخفض الجناح، لا بانحناء القامة، ولا بطأطأة الرأس، لكي يذكر الولد بضعفه قبل أن يقوى، وبلينه قبل أن يشتد، وبحبوه قبل أن يسير، وتصفيقه بجناحيه الكليلين قبل أن يطير. وتحت هذا الجناح الكسير ينطوي عالم كبيرفيه من المشاعر الإنسانية عاطفتان نبيلتان، تفضي إحداهما إلى الأخرى، فتترابطتان، وعلى ترابطهما يتوقف استمرار الحياة، وبناء الأسرة، وتعاقب الأجيال، وهما عاطفتا الوالدين والولد،

تلك وقفة أو عبرة. والثانية أن هذه الآية تذكرني بسيدنا يوسف وأبيه، عليهما السلام فأجد في خفض الجناح من الإجلال ما يرقى بالأبوة والأمومة إلى مرتبة تفوق مرتبة الملك. فيوسف عليه السلام، إن لم يكن في مرتبة الملوك، فقد كان في مرتبة الوزراء. وحينما التقى ذويه القادمين من البداوة إلى مصر رفع أبويه على العرش. وهذه الرفعة لا تدل على إجلال الولد للوالدين، وحسب وإنما تدل على معنى أرفع وأنبل، وهو أن الأبوة والأمومة استطاعتا أن تخترق الحواجز الرسمية، والفوارق الحضارية، والمناصب الملكية والوزارية، وأن

أي: عاطفة الأمومة والأبوة في الوالدين، وعاطفة البر والوفاء في الولد.

أما الأمومة والأبوة فقد رعتا بأجنحتهما الكبيرة جناح الولد، يوم كان كالفرخ الأزغب، يصفق بجناحيه ولا يحلق، ويخرج رأسه من الوكر ولا يدرج، بل ينتظر غدو والديه ورواحهما، فيرزقانه بما يرزقانه من حبيبات وقطرات. وأما عاطفة الوفاء فناجمة عن الأولى، يحسها الولد حينما يبصر والديه وقد وهت أجنحتهما وقوي جناحه، فيستلهم العبرة من هذا التحول وهذا التحول - وإن استغرق سنوات من عمر الوالدين والولد - لا يمتد في

عمر الزمان إلا لحظات، فإذا الضعف قوة. والقوة ضعف، والعجز قدرة، والقدرة عجز. وإذا أنت تتذكر قوله جل ذكره في (سورة الروم، الآية: ٥٤: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف، ثم جعل من بعد ضعف قوة، ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة، يخلق ما يشاء، وهو العليم القدير﴾.

وهذا التذكر يفضي بك إلى تصور، إذ ينداح أمامك أفق رحب، يحلق فيه صقر مديد الجناحين حديد العينين، ثم يحط على طائرين عاثرين، أقعدهما العجز عن التصفيق. وهما مع ذلك ينظران إلى الصقر بعين المستبشر لا المحترس، لأنه حط عليهما ليدرأ ويكلأ، لا ليقتنص ويفترس. فتسكن بعد اضطراب، وتطمئن بعد قلق، وتأمن بعد خوف، لأنك أحسست الراحة، وأنت تراقب الجناح الخفيض، وهو ينشر ظلا من ظلال الخير والرحمة على أحق الناس بها.

ورابعة العبر اقتران الخفض بالذل، فلماذا نص الذكر الحكيم على أنه جناح ذل لا جناح عطف؟ ولماذا لم يتخير من الألفاظ العاطفية كلمة أخرى تدل على البر، كأن يقول جناح الحماية والرعاية، أو جناح الولاء والوفاء؟.

غالب الظن أنه تخير هذه اللفظة من مئات الكلمات، لأنها أول الكلمات على ترويض الجموح، وتطويع العصيان. والمتوقع أن يكون الولد في هذه السن قد شب وأحب، وصرفته عن والديه حليلة أو خليلة، فهو إليها أميل، وعلى الظهور بالقوة أمامها أحرص. وهي تشجعه على أن يتلقى مواعظ أبويه بالرفض، ونصائحها بالنقض، لا لكي تؤثره بالقوة، بل لتستأثر بقوته، وتوجه القوة نحو الشر، فيتمرد ويجمع، ويضيق صدره بالوعظ والنصح. ولهذا كله جاءت كلمة الذل لتكسر أنف الولد المتمرد، وتعرفه قدره، وتجرده من غرور الشباب، وشمخة الكبرياء، وتقفه على حقيقة الحياة.

ولعل أجمل ما في كلمة الذل وقوعها-كما ذكرنا قبل-بعد الأمر بعبادة الله. وهذا الوقوع يعني أن ذل الولد للوالدين كخشوعه في محراب الصلاة. فأقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد، فهو كلما خشع وخضع لله، وذل وانكسر للوالدين ازداد رفعة ونبلاً وشرفاً وفضلاً، لأنه يخشع ويخضع لمن خلقه، ويذل وينكسر لمن ربياه بعد أن خلق. وأي موقف أعظم من موقف الإنسان خاشعاً متفكراً في سر الخلق؟.

قد يقول قائل: لو أراد القرآن إذلال الولد للوالدين لأمره بخفض جناحيه كليهما. وخفض جناح واحد دليل على الاعتدال لا الإذلال. والرد على هذا القول أن خفض جناح واحد أذل، وعلى الانكسار أدل. إن الطائر لا يتوازن إلا إذا تساوى جناحاه في البسط والقبض، والرفع والخفض. فهو إن حوم بسط جناحيه معاً، وإن حط قبضهما معاً. أما إذا انبسط أحدهما أو انقبض، وارتفع الآخر أو انخفض بلا تناغم، فإن الطائر يضطرب وينقلب ألا ترى البهلوان في السيرك

كيف يمتطي الحبال، وهو يبسط ذراعيه، فإن بسط واحداً فقط، تعثر وسقط. فإذا انتقلت إلى الجانب الآخر من الصورة وجدت الوالدين شامخين معاً أمام ولد واحد ذي جناح واحد حينئذ تحس أن الله أعز الوالدين بالاجتماع والازدواج، فالتثنية إذن منعة ورفعة، وكسر جناح واحد تخضيع وتطويع.

وخامسة العبر التي تنطوي عليها هذه العبارة المعجزة اشتمالها على أفق إنساني، يجاوز ارتباط الولد بوالديه إلى البنية الاجتماعية التي تميز المسلمين من الغربيين. وهذا الأفق ما زالت شمس الإسلام تبزغ فيه، بينما راح الظلام يغلفه في سماء الغرب. وإليك البيان:

من الحقائق الكونية أن الشرق نشر أشعة الشمس في الغرب قبل أن تؤلف المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه) كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب)، وأن الشرق العربي المسلم منذ عشرات القرون كان يرسل إلى الغرب أنوار النبوات، وأن الغرب يرسل إلى الشرق ظلمات الشهوات، تصديقاً لقوله جل ذكره (سورة آل عمران، الآية: ٢٧: ﴿تولج الليل في النهار، وتولج النهار في الليل﴾ هذا، إذا سمحنا لأنفسنا أن نفسر هذه الآية على ضوء اصطراع الحضارات. ومن ينقل هذه الحقيقة الكونية إلى البنية الاجتماعية يجد أن الغرب الذي تفككت أسرته يحاول أن يمزق الأسرة الإسلامية مرةً بإثارة الأثرة في نفوس الأولاد، وثانية باسم الحرية الفردية، وثالثة تحت لواء العولمة، ورابعة بالوجبات السريعة، وخامسة بإخراج الأمهات من وكور الدور، وتكليفهن أعمال الرجال، حتى أصبحت الأم تؤثر الإثراء على الابناء، وتنمية الرصيد على تربية الوليد. فضعف ارتباطها بولدها.

فلما شاخت وشب قطفت ثمار ما زرعت، إذ بدأ ولدها يهجرها كبيراً كما هجرته صغيراً. ولكي تحذرنا هذه الآية المعجزة مما يهدد الأسرة المسلمة قال جل ذكره: (واخفض لهما جناح الذل) ولم يقل: اخفض لهما جناح المال، لأن جناح المال يمكن خفضه بأن يلقي الولد أبويه في دور المسنين على النحو الذي يحدث في الغرب. وحينئذ يجد الوالدان المثوى والمأوى، ولا يجدان السكينة والطمأنينة، ويظفران باللقمة والهدمة، ويحرمان الحرمة والرحمة. فيصبحان كالأنعام أو أضل سبيلا. أما خفض الجناح فإنه يلصق الولد بوالديه، وبهذا الإلصاق يوفر الله للوالدين الضعيفين كل عواطف الرحمة والرأفة والإكبار والإيثار، والتقدير والتوقير، والأمان والحنان، والإخلاء إلى الوداد، والإحساس بالإيناس.

فسبحان من أعجز أهل البيان بالبيان، وقرن العبادة بالإحسان، وخفض جناح الولد للوالدين ليسعد الثلاثة في الدارين!!.

القرافي

من أعلام الحوار مع الآخر

د. عبد الحكيم النيس

أعلام إسلامية

القرافي عَلَم بارز من أعلام القرن السابع الهجري، مراكشي الأصل، مصري المولد والوفاة، احترق ذكاءً وتوقداً فمات عن ثمان وخمسين سنة، مخلفاً ثروة علمية متميزة محررة، وقد كان هذا همّه في حياته فحرر ثمانية علوم في أحد عشر شهراً .

أقام في القرافة مدة يسيرة فنُسب إليها، وطارت شهرته بها، ثم احتضنته مع أبرز شيوخه العز ابن عبد السلام في ثراها .

شهد أحمد بن إدريس الشهير بالقرافي سقوط بغداد وانطواء الدولة العباسية، وسقوط دمشق وانتهاء الدولة الأيوبية، كما شهد عودة الأمل الشارد، وقيام المجد المنهار في معركة عين جالوت،ثم جولات الظاهر بيبرس المظفرة في بلاد الشام ومصر، ومحاولاته استرجاع العراق الجريح.

لا نعلم إن كان القرافي شارك في شيء من تلك المعارك العسكرية أو لا، إلا أننا على يقين أنه كان في طليعة الكتائب المتأهبة في الميادين الفكرية، وكان يلبي نداء الأمة كلما استصرخت همم الغيارى، واستنجدت بعقولهم وأقلامهم.

ولهذا فيوم ألّف بعض النصارى رسالة تتضمن خمس عشرة شبهة مشتملة على الاحتجاج بالقرآن على صحة مذهب النصارى هبّ القرافي ليكشف تلك الشبهات، وينقض تلك المقولات.

ولم يكتف بهذا بل إنه أحصى كذلك خمسة عشر سؤالاً يوردونها على المسلمين وأجاب عليها، وربما أجاب على سؤال من ثمانية عشر وجهاً !

كان هذا يمثل موقف الدفاع

ثم جاءت جولة ثالثة تمثل موقف المبادرة والهجوم فها هو يورد على القوم مئة وسبعة أسئلة جامعة شاملة ويطالبهم بالجواب عليها، وكان من الثقة بحيث كان يرى أنه يتعذر عليهم الجواب عليها.

ثم إذا كانوا يستخرجون من القرآن الكريم ما يشهد لهم - ظناً خاطئاً وتحريفاً متعمداً منهم – فها هو يستخرج من كتبهم أكثر من خمسين نصاً تتحدث عن نبي الإسلام وأمته تصريحاً وتلميحاً .

من هذه الجولات الأربع انتظم كتابه «الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة»

ثلاثون خطوة منهم قابلتها مئة وستون خطوة من القرافي، وكان هذا يعكس قوة الموقف الإسلامي وصلابته في ميادين الصراع الفكري إلى جانب الصراع العسكري الذي كان يشهد غروب الوجود الصليبي في الساحل الشامي وقلاعه عدا عكا المعقل الأخير التي لم تكتحل عين القرافي بعودتها إلى أهلها إذ توفي قبل تحريرها بست سنوات، وقد ذكرها مرتين مستشهداً بما يقع للقوم فيها، وهي مدينة من مدن متعددة غربية وغيرها ذكر القرافي ما يفعلون فيها مما يدل على اطلاع واسع على أحوال عصره .

ماذا يمكن أن نتعلم من القرافي؟

إن أبرز ما ميّز تجربة هذا العالم سبع إضاءات :

١- علمه الدقيق الغزير الشامل بما لدى الآخرين من علم وثقافة وسلوك، وكتب وموروثات ومحاججته لهم بما فيها بصورة استقرائية تامة، وكان في بعض الأحيان يشير إلى وقوفه على نسخ من التوراة مختلفة مما يدل على تتبع جاد.

٢- علمه الواسع الكبير بجهود العلماء السابقين في هذا الباب ولاسيما أهل الأندلس و المغرب، وإن كان يؤخذ عليه أنه أغفل ذكر هذه الجهود.

٣- أمانته القصوى في ذكر أقوالهم وأنقالهم، وإنصافه لهم، ونصيحته المخلصة لهم بطرح التقليد والتحرر منه.

٤- ثقته الشديدة بنفسه وأحقية موقفه. ولهذا لم يبال بقولهم إن الإسلام استخدم السيف بل عكس القضية وقال : نحن منسجمون مع أنفسنا أما أنتم فكتابكم يأمركم بالمسالمة ومع ذلك ملأتم الأرض بالدماء والأشلاء فمن أحق بالجواب منّا؟.

٥- إشادته الدائمة بالأمة الإسلامية وعلومها، وما تحقق على يد علمائها، واختصاصها بمعاقل العلوم وأزمتها.

٦- إشارته المهمة إلى توافق التوراة والإنجيل مع القرآن في بعض المواضع. وهذا التوافق يدل على بقايا سلمت من التحريف، وهو من الموضوعات الجديرة بالبحث والتتبع والاستقصاء .

٧- إنه لم يستعد السلطات الحاكمة على أي أحد بل اكتفى بالمحاججة والجدل والحوار.

هذه الإضاءات السبع كلها مما يجب أن نتعلمه من القرافي

والآن فما هي أهدافه ؟

كان القرافي يهدف إلى تقوية المسلمين وتثبيتهم، ودعوة الآخرين إلى الإسلام، ومن أفضل ما نستفيده منه هنا أسلوبه المتمثل بما كتبه عن محاسن الشريعة الإسلامية، وعمّا قدّمه المسلمون للإنسانية من علوم ابتكروها، وعلوم قديمة صححوها ونقّحوها، وحرروها وطوروها، وبهذه اللفتات سبق القرافي عصره، وبدا وكأنه يتحدث في عصرنا .

هذا إلى جانب ما باهى به مراراً وتكراراً من المستوى الحضاري للأمة متمثلاً بنظافة ظواهرها وبواطنها إلى حدّ السخرية بتدني هذا الجانب لدى الآخرين .

إنني أدعو إلى إيلاء هذا المنحى الذي نحاه القرافي في إظهار محاسن الشريعة وفضل الأمة في تقدّم العلوم أدعو إلى إيلائه أقصى العناية والاهتمام، واعتماده أسلوباً فعالاً في الحوار وتقديم أنفسنا إلى العالم .

ومما نستفيده من القرافي حديثه الممتع كذلك عن غنى التشريع الإسلامي وفقر ما لدى الآخرين، وذكره حقيقة مهمة جداً عن كثرة رجوعهم إلى أحكام المسلمين في حياتهم اليومية، مما يكشف التعايش السلمي بين المسلمين ومجاوريهم ومساكنيهم من أهل الملل الأخرى، وبهذا نرد على من يحاول الاصطياد في الماء العكر محاولاً زرع الفتنة بين المسلمين وأهل الذمة .

أما لغته فكانت من المتانة بحيث يمكنك وصفها بأنها نحت في صخر وليست هباءً يطير في الهواء،إلا أنه كان -أحياناً-إذا وصل إلى نقطة حاسمة أو وصل إلى ذروة الاشتباك كان لا يملك نفسه من الانفعال فيصف الآخرين بصفات قاسية وربما جارحة، وقد ردد مراراً أنه لا يريد منهم دليلاً على صحة معتقدهم، وأنه يقنع منهم أن يصوروا مذهبهم تصويراً يقبله العقل فقط.

كيف تشجع ابنك على القراءة ؟

(ابني لا يقرأ) (ابنتي لا تحب القراءة) (أدعو أبنائي للقراءة ولكنهم يرفضون) (كيف أحبب ابني في القراءة) (أولادي يقضون ساعات طويلة أمام الألعاب الالكترونية ولا يقضون خمس دقائق في قراءة كتاب) كل هذه العبارات وغيرها نسمعها يوميا تتردد على ألسنة الآباء والأمهات، ونحن نقول لا توجد عصا سحرية تحول الطفل إلى طفل قارئ بين يوم وليلة ولكن توجد طرق ووسائل تشجع وتحبب الطفل في القراءة فتجعله قارئا جيداً

الموجهة التربوية:
سليمة محمد عبد الله

هذه الطرق تحتاج منك إلى الاستمرار والالتزام والصبر في تطبيقها إن كنت ترغب في نتائج مرضية، رغم أنها بسيطة وسهلة إلا أنها مفيدة ومؤثرة، ومن هذه الطرق :

١- كن قدوة لابنك:

إحدى الوسائل التي تشجع بها طفلك على القراءة هي أن يراك تمارس عادة القراءة .

إذا شاهدك طفلك وأنت تقرأ وتستمتع بما تقرأه، أو أنك تختار كتابا لتقرأه فإن ذلك يشجعه على ممارسة عادة القراءة وستجده متجها لتقليدك في نفس الأمر .

٢- اقرأ مع طفلك أو اقرأ لطفلك:

- حاول أن تقرأ مع طفلك قصة أو كتابا لمدة ٢٠ دقيقة على الأقل يوميا . الوقت الذي ستقضيه كل يوم مع طفلك في قراءة القصة أو الكتاب سيكون من أمتع الأوقات بالنسبة له وسيشعر بمشاركتك له فيعتاد الأمر وينتظره بفارغ الصبر وربما يذكرك به .
- لا تنس أن الأطفال يحبون القصص المشوقة والمثيرة والمضحكة فاحرص على اختيار قصص من دنيا الأطفال أو عالم الحيوان أو عالم الخيال والمغامرة أو قصص من الماضي .
- حاول أن تبحث عن قصص ذات إخراج فني جذاب من حيث الصورة ونوع الخط وحجمه.
- بعض القصص التي قرأتها عندما كنت صغيرا رغم مرور وقت طويل على تأليفها إلا إنها قد تكون قيمة لذا يمكنك قراءتها لطفلك.
- ابحث عن القصص التي نالت جوائز محلية وعالمية وعرفه بها واقرأها له .

٣- اشعر طفلك بالمتعة وأنت تقرأ له القصة :

- قد لا يستمتع الطفل بأجمل قصة إن كان العرض مملا لذا احرص على إضفاء روح المتعة والمرح على القصة من خلال: تلوين الصوت كمراعاة الجمل الاستفهامية أو التعجبية أو . . ، الصوت الواضح، تعبيرات الوجه المناسبة للجمل، الأسئلة التي تطرحها أثناء العرض وتدفعه للمتابعة مثلا: هل تعرف ماذا فعل . . . ؟ ماذا تتوقع أن يفعل. . .؟ هل يرضى . . .بما حدث أم. . .؟ وهكذا، عرض الصور أثناء السرد . العرض المشوق يزيد من تفاعل الطفل مع القصة فيكون علاقة إيجابية مع الكتاب .
- اقرأ له القصص ذات الفصول

أدعو أبنائي للقراءة ولكنهم يرفضون

كيف أحبب ابني في القراءة

ابنتي لا تحب القراءة

بحيث تقرأ فصلا كل يوم فتثير تشوقه لمتابعتها.

٤- يوم مع ابنك في المكتبة:

- خصص يوما في الأسبوع لاصطحاب ابنك إلى المكتبة العامة للقراءة، احرص على الالتزام حتى تصبح هذه الزيارة جزءا من حياة ابنك وسم هذا اليوم (يوم المكتبة).
- في الزيارة الأولى عرفه بأركان المكتبة ومحتوياتها وطريقة الاستعارة.
- اتفق معه على عدد الساعات التي ستقضيها معه في المكتبة.
- يمكنك أن تستخرج بطاقة مكتبية باسم ابنك حتى يشعر بأهمية المكان الذي يرتاده.

٥- شارك ابنك في شراء كتبه:

- خصص يوما في الشهر لزيارة المكتبة وشراء القصص والكتب، ابدأ بنفسك ودعه يشاهدك وأنت تشتري كتابا ثم خذه إلى ركن الأطفال وشاركه في شراء ما يناسبه، سيشعر طفلك بأن شراء الكتب لا يقل أهمية عن شراء اللوازم الأخرى كالملابس واللعب.
- يمكنك أن تقترح على طفلك لاحقا توفير مبلغ من مصروفه ليتمكن من شراء قصة أو كتاب كل شهر.
- دعه يشاهدك وأنت تقرأ الكتاب الذي اشتريته وتضيفه إلى مكتبتك المنزلية، تأكد بأن ابنك سيقلدك فيما فعلت.

٦- خصص ركنا في المنزل يكون مكتبة لطفلك :

- أنشئ مكتبة لطفلك في المنزل بحيث يكون شكلها جذابا وطولها مناسبا يسمح له بأخذ الكتب بسهولة ويسر.
- خذ رأيه في مكان وضعها وشكلها.
- من الأفضل أن تحتوي المكتبة على مصادر متنوعة من قصص وكتب وموسوعات ومجلات وقاموس للأطفال.
- اقترح على ابنك بأن لا يضع كتابا في المكتبة قبل أن يقرأه.

٧- قدم الكتاب كهدية لابنك:

قدم الكتاب أو القصة كهدية لابنك في المناسبات المختلفة، سيقدر ابنك قيمة الكتاب لأنه يقدر الشخص الذي أهداه إياه.

٨- اقرأ الكتب أو القصص التي قرأها ابنك:

اقرأ الكتاب الذي قرأه ابنك وافتح معه حوارا حول الكتاب في أوقات اجتماعكم، اسأله عن موضوع الكتاب وما الذي أعجبه؟ وما الذي لم يعجبه ؟ وهل استمتع بقراءته ؟ ولماذا؟، هذا الأمر يشعره بأهمية مايقرأ وبمشاركتك له ويساعده على نقد ما يقرأ كما سيساعدك على معرفة ميول ابنك في القراءة والموضوعات التي يقبل عليها.

٩- شجعه على الاشتراك في مجلات الأطفال:

أخبره بأن أحد مصادر المعرفة هي المجلات، واعرض له مجموعة من المجلات المفيدة وعرفه بها ثم اطلب منه أن يختار مجلة للاشتراك فيها. فكرة أن تأتي المجلة شهريا إلى المنزل باسم الطفل وينتظرها فكرة تعجب الأطفال وتسعدهم وتشعرهم بالتشويق.

١٠- هيئ لابنك جوا للقراءة:

- اقترح عليه أن يخصص مكانا هادئا ومريحا في المنزل للقراءة، قد يختار كرسيا مريحا ويضعه في مكان القراءة.
- يمكنك الاستماع لقراءة ابنك في مكان قراءته.

١١- عرف ابنك بالإصدارات الحديثة:

في كل عام تصدر قصص للأطفال يذيع صيتها وتكون حديث الصغار والكبار فاحرص على الحديث عنها أمام ابنك وعرفه بها وشجعه على قراءتها.

١٢- حدد وقت مشاهدة ابنك للتلفاز:

تخصيص زمن محدد لمشاهدة التلفاز تجبر ابنك على إيجاد شيء آخر لفعله في الوقت المتبقي، فاستثمر هذا الوقت في حثه على القراءة.

١٣- وجه ابنك لقراءة الكتب ذات الأجزاء المتسلسلة:

الأطفال يحبون الكتب ذات الأجزاء المتسلسلة، فهذا النوع من الكتب يخلق التشويق والرغبة في المتابعة عند ابنك لذا زوده بهذه النوعية من الكتب لتكسب متابعته للقراءة .

١٤- القصص الالكترونية:

قد يستمتع ابنك إن اقتنى قصة مع قرص الكتروني فيه سرد للقصة وقد تكون هذه طريقة جيدة في تحبيبه للقراءة.

١٥- استخدم كتيب تأريخ القصص:

- زود ابنك بكتيب يحوي الجدول الآتي (أ)
- اطلب منه تعبئة الجدول بعد قراءة كل قصة، هذا الأمر يضفي متعة على القراءة ويعوده المتابعة ويعرفك بميول ابنك نحو الموضوعات التي يحب قراءتها.
- من الممتع أن يحتفظ ابنك بالكتيب كذكرى له حين يكبر.

١٦- قسم القصص إلى مستويات للقراءة:

- قسم مجموعات ابنك القصصية إلى مستويات حسب الصعوبة .
- حدد كل مستوى بلون مغاير .
- ضع كل مجموعة في رف من رفوف مكتبته .
- اتفق معه بأن ينتقل من مجموعة إلى أخرى بالترتيب.
- زوده ببطاقات تمثل ألوان المجموعات .
- اطلب منه أن يعطيك البطاقة التابعة للمجموعة التي أنهى قراءتها .
- كافئه بهدية مناسبة بعد انتهائه من كل مجموعة .
- يمكنك التأكد من قراءته بمناقشته حول موضوعات القصص .

١٧- وظف الوسائل الممتعة:

- اسأله عن شخصية كرتونية يحبها .
- ألصق صورة الشخصية قرب مكتبته .
- قص الأوراق الملونة على شكل دوائر وثبتها على جسم الشخصية .
- اطلب من ابنك تسجيل اسم القصة التي قرأها على دائرة من الدوائر .

جدول (أ)

اسم القصة	تاريخ البدء بالقراءة	تاريخ الانتهاء من القراءة	انطباعاتي حول القصة	السبب	ملاحظاتي حول القصة

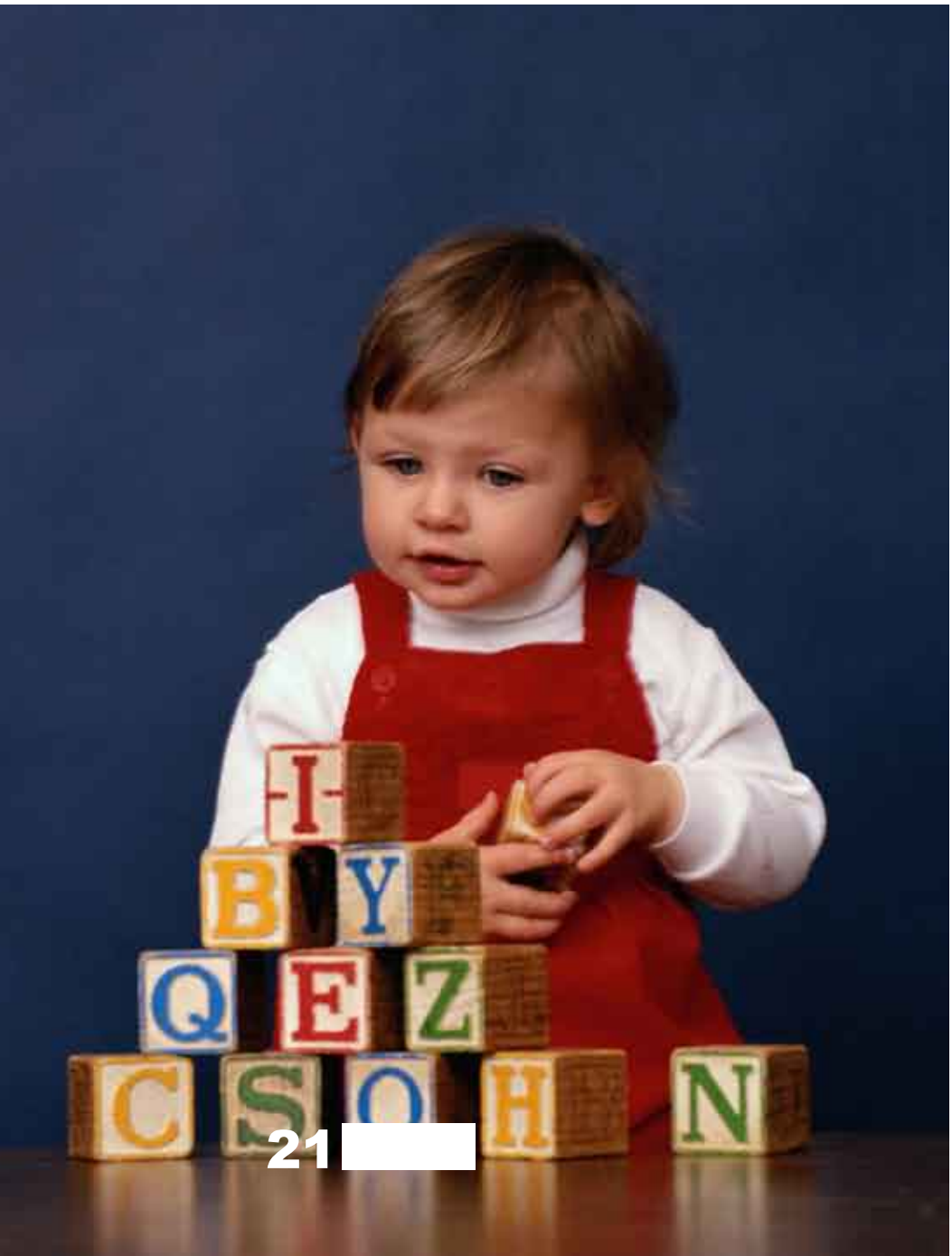

حديث وسنة

هيا نصافح الملائكة...

علي عيد
كاتب من مصر

روى حنظلة التميمي الأسيدي الكاتب، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا الله ونذكر الجنة ونذكر النار حتى كأنا رأى عين، فخرجت إلى الأولاد فضاحكت ولاعبت، فنسيت كثيراً، فذكرت الذي كنت فيه فقلت: نافقت نافقت، فخرجت فلقيت أبا بكر فقلت: نافق حنظلة، نافق حنظلة، فقال: وما ذاك فذكرته له، فقال: إنا نفعله فانطلقنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: نافق حنظلة، نافق حنظلة، فقال: وما ذاك؟ فذكرته له، فقال: يا حنظلة، لو أنكم كنتم كما تكونون عندي، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطرقات، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة.

في هذه الرواية نجد تصويرا دقيقا للحال التي تعتري الصحبة التي تجالس النبي صلى الله عليه وسلم من يقين القلب وشفافية الروح وسقوط الحجب التي تفصل بين المعنى والمبنى، بين الغيب والشهادة، وكيف لا وهم جلساء النبي صلى الله عليه وسلم، وما أدراك ما جلساء النبي صلى الله عليه وسلم إنهم ملائكة البشر وتتنزل عليهم ملائكة السماء، ويعالج النبي صلى الله عليه وسلم قلوبهم ويربي نفوسهم بما منحه الله من منح وأعطيات كريمة وخوله من قوامة على القلوب، وصدق من وصفه في محكم التنزيل: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ [سورة الجمعة، الآية:٢] فهو مخولٌ في تزكية نفوس أصحابه بعون من ربه، وكانت مجالسه هي مصحة هذه التزكية، حتى إن الجالس فيها ليشعر بالتحول الكبير من حالٍ كان عليها من قبل إلى حال يستلذها ويسعد بها ويتمنى أن لا يخرج منها.

ورب تساؤل يلح على خاطر المسلم ما هي عوامل تحقق هذه الحال، وهل انقطعت بانتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه، وحرم منها المسلمون من بعده؟!.

لقد أجاب القرآن وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم على هذا التساؤل بوضوح واستفاضة، فضمن القرآن حفاوة الله عز وجل بمثل هذا المجلس وهذا الجمع وتلبية تشوقاته، فذكر أن الله عز وجل يبادل هؤلاء القوم الذين شغلوا أنفسهم بذكره، ذكرا بذكر، وإقبالاً بإقبال، فقال رب العزة ﴿فاذكروني أذكركم، واشكروا لي ولا تكفرون﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٥٢] وقال في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

فالمجلس الذي يشغل نفسه بذكر الله، يكون مشمولا بعناية الله ومعيته، وهذا معناه أن تسارع ملائكة السماء فتحفه وتشاركه وتباركه، ثم معناه أن تتنزل عليه رحمة ربه، ثم معناه أن تفر منه الشياطين، إذ لا يجتمع شيطان وملك في مكان واحد أبدا، وما دام الشيطان قد فر وهرب، فقد انمحت الوسوسة والقلق وحلت السكينة والطمأنينة وانقشع الخوف، وتشعب الأهواء والخواطر، كأثر من آثار هروب الشيطان، وهروبه واختفاؤه حقيقة لامرية فيها ما دام القلب أصبح مشغولا بذكر الله ومعيته، وفي الحديث: «إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، إذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس» ومن هنا سمي: الوسواس الخناس.

ومن رحمة الله بالأمة أن ظل هذا الفضل والمنحة لأمته بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ما تحققت مقدماته وهي ذكر الله والإقبال عليه والفرار إليه وحده، فجاء في الحديث الصحيح: «ما اتخذ قومٌ مجلساً يذكرون الله تعالى فيه، إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده» فحين تحف بالإنسان الملائكة وتغشاه الرحمة وتتنزل عليه السكينة، ويصير على ذكر من الله وقرب ومعية، لا يكون قلق أو اضطراب أو حيرة، ما دامت قد أغلقت منافذ الشيطان، وقد أحاط القرآن أتباعه علما بأن مصدر الحيرة هو الشيطان، فقال: ﴿كالذي

استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى﴾ (سورة الأنعام، الآية: ٧١] وأحاطهم علما كذلك بأن اطمئنان القلوب هو ثمرة الذكر فقال تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [سورة الرعد، الآية: ٢٨] وسمى القرآن أيضا هذه الطمأنينة بالسكينة، أي تنعم القلوب بخلوها من القلق والحيرة والاضطراب، وتجد هذه السكينة أفيضت على قلوب المؤمنين في مواقف كانت تستدعي الفزع والاضطراب، لكن لأنها ذكرت الله واستغاثت به ربط الله عليها وانزل عليها السكينة وانظر إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ [سورة التوبة، الآية: ٢٥-٢٦] وانظر إلى موقف النبي صلى الله عليه وسلم في الغار مع صاحبه في موقف تنخلع له القلوب وتتزلزل بسببه الأنفس وترتعد من أجله الفرائص، إذ إن إطلالة واحدة خارج الغار على الرماح المشرعة والسيوف المشهرة والأنفس المتعطشة إلى الدماء، كانت كافية لترتد بالموت إلى صاحبها قبل أن تتناوشه السيوف، ولكن لأن القلبين كانا في معية الله فراراً إليه وغنى به وذكرا له كانت السكينة، فقال تعالى: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ [سورة التوبة، الآية: ٤٠].

وكذلك موقف النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قبل صلح الحديبية وقد استبد بهم الغضب والحنق حينما شعروا بالإهانة وجرح الكرامة، بعد أن بلغهم أن قريشاً قتلت عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم ليبلغ قريشا أنه ما جاء لحرب وإنما جاء معظما للكعبة، فتعاهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه على الموت، رغم أنهم ما خرجوا للقتال أبداً، ولم يعدوا أنفسهم لحرب، فكان طبيعيا أن تتوجه القلوب إلى الله وحده، ولا يكون في هذه القلوب شاغل سواه، فأفرغ الله عليها سكينته وطمأنينتها لثقتها فيه وحده، فقال تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريباً﴾ [سورة الفتح، الآية: ١٨] وهكذا نجد هذه السكينة تستنزل بالذكر والاقبال على الله والإيمان به ثقة واعتماداً قال تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيماً﴾ [سورة الفتح، الآية: ٤] ولمثل هذا ما أكثر ما دعا الحق تبارك وتعالى أن تكون القلوب أكثر وقتها في ذكر الله حتى تجني ثمرته، فقال عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً. وسبحوه بكرة وأصيلاً هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلامٌ وأعد لهم أجراً كريماً﴾ [سورة الأحزاب، الآيات: ٤١-٤٢-٤٣-٤٤] ونبه إلى أن ذكر القلب هو المطلوب من العبادة حيث إن العبادة لا معنى لها بدون عمران القلب بالذكر، ولذلك قال تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ [سورة العنكبوت، الآية:٤٥] وعبادة الصلاة التي لا تهب صاحبها السكينة، لا نفع فيها لصاحبها، وكذلك كل عبادة.

وحتى لا يحرم الإنسان من هذا الشعور الوجداني، والسكينة القلبية بعد العبادات، أكد على الإكثار من الذكر القلبي واللساني فقال تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [سورة الجمعة، الآية: ١٠] وقال سبحانه: ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار • أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾ [سورة البقرة، الآيات: ٢٠٠-٢٠١-٢٠٢] وإذا كان القلب مشغولاً بذكر الله، خرج منه سوط لهيب يفزع الشيطان ويهيب بالنفس أن تحذر المخالفة والسقوط في الهاوية، وصدق ربنا تبارك وتعالى إذ يقول: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٠١] ويا له من توجيه رباني كريم نحو تحقيق الحياة الهانئة الآمنة الناعمة بالسكينة والطمأنينة حين نجد رب العزة يقول: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥] حيث إن الغفلة هي النافذة الواسعة التي يطل منها الشيطان على سويداء القلب، ليلقي بوسوسته وأضاليله ونفثاته، وصدق رب العزة في قوله: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾ [سورة الزخرف، الآيتان: ٣٦-٣٧] والإنسان بعد ذلك بالخيار، بين أن يكون قرينا للشيطان، أو وليا للرحمن، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

أ.د. أحمد محمد هليل للضياء:

الدين الإسلامي يمتلك مقومات الحضارة العالمية

حاوره: بهاء الدين السنهوري

تقييم الحوار بين الحضارات في ظل العولمة، وإعادة دراسة تاريخ الأمة الإسلامية،وكيفية نهوضها ونشر رسالتها الحضارية كما ينبغي، وتوظيف الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة لخدمة العمل الدعوي، ومدى اتفاق واختلاف الديمقراطية مع ما جاء به الطرح الإسلامي،لأجل تسليط مزيد من الضوء على هذه الموضوعات التي لا تخلو من الجدل وغيرها الضياء التقت في هذا الحوار معالي الأستاذ الدكتور أحمد محمد هليل قاضي القضاة مستشار الملك إمام الحضرة الهاشمية وزير الأوقاف الأسبق في الأردن وتاليا نص الحوار:

• هل الأمة الإسلامية بحاجة إلى كتابة تاريخها ؟

الأمة الإسلامية ليست بحاجة إلى كتابة تاريخها بل هي بحاجة إلى دراسة تاريخها وتمحيص هذا التاريخ مما علق به من شوائب ربما دست سواء كان ذلك من قبل أعدائها أو من قبل بعض أبنائها الجهلاء وبالتالي لابد من إعادة دراسة تاريخ هذه المسيرة الطويلة وإزالة كل ما من شأنه أن يشير إلى تشكيك أو لبس وهذا يدخل في إطار الاهتمام بهذه المسيرة المباركة والخيرة.

• كيف للأمة النهوض بشكل شامل وقوي؟

أعتقد أن العالم الإسلامي مؤهل لذلك بالرسالة والعقيدة والشريعة والدين الذي يحمله باعتبار أنه وريث لخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وأن رسالة الإسلام هي خاتمة الرسالات السماوية وأن هذا الدين هو الذي اختاره الله سبحانه وتعالى للبشرية جمعاء حيث يقول سبحانه وتعالى في محكم تنزيله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ فمن هذا الجانب الأمة مؤهلة لأن تكون رائدة في مجالات النهوض كافة، كيف لا وهي خير أمة أخرجت للناس؟ وهذه الخيرية من رب العالمين جل شأنه وطالما أن هذه الأمة ملتزمة بالتوجيه الإلهي الرباني في الالتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى وأيضا تحتاج الأمة إلى القيام بتوحيد صفوفها وجمع كلمتها والتآلف بين أبنائها وأن تكون على قلب رجل واحد في ميادين الخير ومجالات البر لتنشر رسالتها الخيرة بالحكمة والموعظة الحسنة والكلمة الطيبة التي يمكن أن تؤثر في الناس جميعا.

• حوار الحضارات في ظل العولمة كيف لنا تقييمه؟

حقيقة أن الإسلام يؤمن بمبدأ الحوار بين الحضارات ولقاء الثقافات ويرفض فكرة صراع الحضارات وتنازع الثقافات والدين الإسلامي يمتلك مقومات الحضارة العالمية التي تصلح لكل مكان وزمان بالإضافة إلى أن الحضارة الإسلامية تحمل أفكارا متميزة وفريدة تقوم على احترام العقل واحترام الفكر والعلم والعلماء

إلى جانب أنها ترفض الخرافة والشعوذة وأي فكر لا يحترم العقل والجانب العلمي وندرك جميعا أن أول آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي قوله سبحانه وتعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ فهي أمة اقرأ وفي ظل العولمة أصبح العالم قرية صغيرة وأصبح فكر العولمة يخترق الحدود ويتجاوز السدود ولا يستأذن أحدا ولذلك لا بد أن يكون هناك تحصين لهذه الأمة عن طريق عودتها والتزامها واستمساكها بمنهجها ودينها إلى جانب تحصين أبنائنا وبناتنا وأجيالنا من آثار وسلبيات العولمة ولكننا لا نرى العولمة شرا محضا كما لا نراها خيرا محضا فهي تشتمل على الخير والشر معا فيها نفع وفيها ضر وبالتالي يتوجب علينا أن نأخذ النافع والمفيد منها وننبذ ونحذر الضار منها لمجتمعنا وأجيالنا ولا بد أن يكون لنا تأثير وفاعلية على العولمة لأن ديننا يمثل العالمية ويأمر بالبعد العالمي لإيصال هذه الرسالة فالرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم يخاطبه الله جل وعلا في محكم تنزيله جل شأنه بقوله: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء الآية ١٠٧] ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ (الأعراف الآية ١٥٨] ﴿و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرا﴾ [سبأ الآية ٢٨] إذ أن هذه المحاور تمثل الأساس الذي يتوجب علينا أن نكون في إطاره والتفاعل معه في ظل العولمة.

• الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة كيف يوظف لخدمة العمل الدعوي؟

نحن ندرك أن القرآن الكريم هو كتاب هداية وكتاب دعوة ويشمل جميع جوانب الحياة الإنسانية ابتداء من النفس البشرية والأسرة والمجتمع والأمة والعالم والكون كله وهذه الجوانب الإعجازية تتوفر في القرآن الكريم والسنة النبوية

علينا أن نأخذ من العولمة النافع والمفيد وننبذ الضار منها لمجتمعنا وأجيالنا

الشريفة ويجب أن نقدمها للناس جميعا ونؤثر في عقلية من لا يتعامل إلا بمنطق الجوانب الإعجازية وقد أسلم الكثير من علماء الغرب نتيجة اطلاعهم وقراءتهم للآيات القرآنية التي فيها إعجاز علمي تتحدث عن الكون أو الفلك أو عن حياة الإنسان أو عن أطوار ومراحل خلقه وعليه فنحن يمكننا الاستفادة من الإعجاز العلمي في كتاب الله العزيز والسنة النبوية المشرفة كأسلوب من أساليب العمل الدعوي.

• كيف للمسلمين القيام بدورهم الحضاري كما ينبغي ؟

بالعودة إلى كتاب الله المجيد والسنة النبوية الشريفة والالتزام بالقرآن الكريم والثابت الصحيح في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وكذلك حسن الصلة بالرسول عليه صلوات الله وتسليمه عن طريق محبته والالتزام بسنته وأيضا نبذ الخلاف والشقاق بين أبناء العالم الإسلامي وتحقيق مفهوم الوحدة والائتلاف ومن ثم حمل هذه الرسالة إلى الناس بإذنه سبحانه وتعالى وهي رسالة خير وتتناسب مع الفطرة البشرية والفطرة الإنسانية السليمة.

• ما مدى اتفاق أو اختلاف الديمقراطية مع ما جاء به الطرح الإسلامي؟

الإسلام يؤمن باحترام الناس وتفكيرهم وإذا كان مفهوم الديمقراطية يدخل في إطار العولمة المفروضة فرضا على الناس دون قناعة وكذلك سلب حقوق الآخرين فهذه ديمقراطية منقوصة ولكن الديمقراطية بالمفهوم الإسلامي الحقيقي تتمثل في إعطاء كل ذي حق حقه سواء كان مسلما أو غير مسلم والتعامل بنظرة واحدة مع الجميع لهم ما لنا وعليهم ما علينا فمبدأ الشورى قائم وواضح ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ [الشورى الآية ٣٨] ﴿وشاورهم في الأمر﴾ (آل عمران الآية ١٥٩] وهذا من شأنه أن يوجد أرضية جيدة ومتميزة في التعامل والتفاعل مع مستجدات العصر فالديمقراطية منقوصة والشورى التي جاء بها الإسلام ودعا إلى العمل بها متكاملة ومتوازنة في مختلف جوانبها.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من أساليب الدعوة إلى الله تعالى

الإسلام يؤمن بمبدأ الحوار بين الحضارات

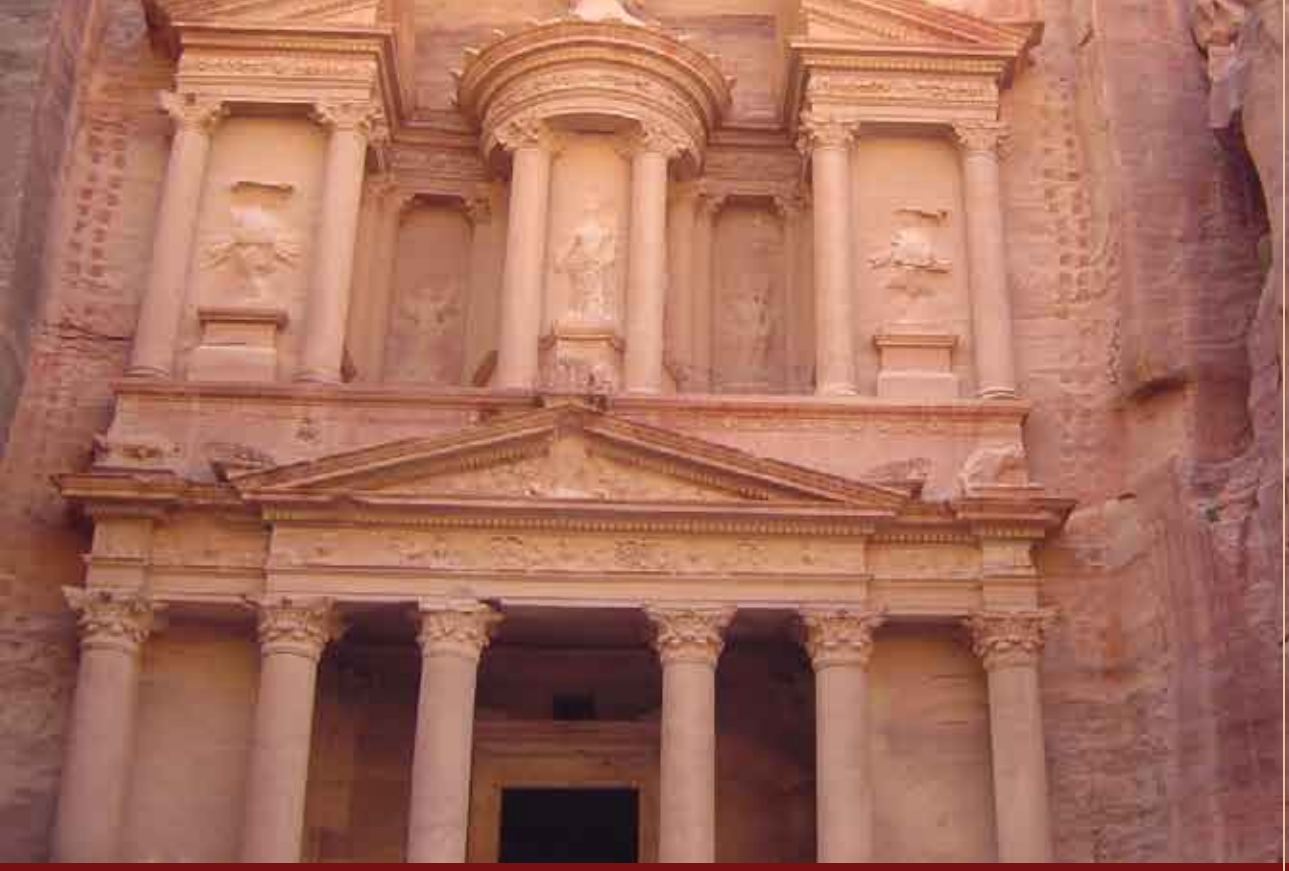

أمم سابقة

إرم ذات العماد

قال اللّٰهُ تعالى: (ألمْ ترَ كيفَ فعلَ ربُكَ بعاد، إرمَ ذاتِ العماد، التي لم يُخْلَقْ مثلُها في البلاد) (سورة الفجر، الآيات: ٦-٨ .

رُويَ في تفسير هذه الآية الكريمة أن مدينةَ (إرمَ) ذات العمادِ كانت في اليمن بين (حَضْرَمَوْتَ) و(صنعاءَ) من بناءِ (شدَّاد بن عاد).

وقومُ (عاد) هؤلاء كانوا طوالاً يصلُ طولُ الواحد منهم إلى اثني عشرَ ذراعًا في الهواءِ أي حوالي ستة أمتار، وكان (لعاد) هذا ابنان هما: (شدَّادٌ) و(شديدٌ)، فملكا بعدَ والدِهما وتجبَّرا وظلما في البلاد، وأخذاها عُنوةً وقهْرًا.

وإنهما لما صَفَا لهما ذلك واستقرَّ قرارُهما ماتَ (شديدٌ) وبقي (شدادٌ)، فأكملَ غزواته حتى ملَكَ الدنيا، ودانتْ له ملوكُها.

وكان شدادٌ جبارًا عنيدًا عابدًا للأصنام من دون اللّٰه -والعياذُ باللّٰه تعالى-، ومُولعًا بقراءة الكتب القديمة، كلما مرَّ فيها على ذكرِ الجنة وما أعدَّ اللّٰه فيها لأوليائه من قصور الذهب والفضة والمساكن التي تجري من تحتها الأنهارُ، كانت نفسُه الأمّارةُ بالسوءِ تدعوهُ إلى أن يجعلَ مثل هذه الجنة له في الدنيا عُتُوًّا على اللّٰه تعالى وكفرًا به.

فقال لأمرائه: إني مُتَّخذٌ في الأرض مدينةً على صفة (الجنة) فوكَّلَ بادىء الأمر مائةَ رجل من وُكلائه، تحتَ يد كلِّ رجل منهم ألفٌ من الأعوان، وأمرَهم أن يفتّشوا في أراضي اليمن ويختاروا أطيبَها تربةً، وأزكاها هواءً.

ومكنَّهم من الأموال، وكتبَ إلى ملوكه يأمُرهم أن يكتبوا إلى وُلاتهم في آفاقِ بلدانهم، أن يجمعوا كلَّ ما في أراضيهم من الذهب والفضة والدرّ والياقوت والمسْك والعنبر والزعفران ويوجّهُوها إليه، وأمرَ الغوَّاصينَ أن يغوصوا في البحار ويستخرجوا الجواهرَ واللآلىءَ، فجمعوا له الشيءَ الكثيرَ، وحُملَ جميعُ ذلكَ إليه، ثم وجَّهَ الحفَّارينَ إلى مناجم الياقوت والزَّبرْجَد وسائر الجواهرِ فاستخرجوا منها شيئًا عظيمًا.

اختارَ الوُكلاءُ أرضًا طيبةَ التربةِ، سهلةَ الهواءِ، وأذنَ لهم

(شدادُ) بأن يبدأوا العملَ فيها لبناءِ جنته المزعومة، فأمرَ بالذهب والفضة وأُقيمت الجدرانُ منهما ثم غُلِّفَتْ تلك الحجارةُ الذهبيةُ والفضيةُ بالدر والياقوت والعقيق، وجعلَ الأبنيةَ غُرَفًا من فوقها تشبُّهًا بما سمعَ عن وصف الجنة، جاعلاً جميعَ ذلكَ على أعمدةٍ رُخامية عريضة.

ثمَّ أجرى تحتَ المدينة قناةً عظيمةً ساقَها من الأوديةِ تحتَ الأرضِ بأربعينَ فرسخًا، ثم أمرَ فأُجريَ من تلكَ القناة، سَواقٍ صارتْ تمشي في سكك بينَ الشوارعِ والأزقَّة تجري بالماءِ الصافي، وأمرَ بحافَتَيْ ذلك النهر وجميع السِّكك، فطُليَتْ بالذهب الأحمر، وجعلَ الحصى المنثورةَ في قيعانها أنواعًا من الجواهرِ الفريدة الملونة الصفراء والحمراء والخضراء، ونصبَ على الضفافِ أشجارًا من الذهب وعليها ثمارٌ من اليواقيت المشعَّة.

وجعلَ طولَ المدينة اثنى عشرَ فرسخًا وعرْضَها مثلَ ذلك وأعلى سُورَها كثيرًا حتى وصلَ إلى ثلاثمائة ذراعٍ من أحجارٍ عريضة وطلاهُ بالذهبِ وزيَّنهُ بما ندرَ وجودُه من المعادنِ والحجارة الملونة الغالية الثمن، وبنى فيها الألوفَ من القصورِ مزخْرفًا بواطنَها وظواهرَها بأصنافِ الجواهرِ، ثم بنى لنفسه في وسطِ المدينة على شاطئ ذلكَ النهرِ قصرًا مُنيفًا يشرفُ على تلكَ القصورِ كلِّها.

وجعلَ بابَ المدينة مُتجهًا إلى الوادي ونصبَ عليه بابين من ذهب منقوشَيْن بأنواعِ الدُّرر، وأمرَ باتخاذِ كُراتٍ صغيرةٍ على شكلِ البُندُقِ من مسكٍ وزعفرانٍ وأُلقيتْ في تلكَ الشوارعِ، ثم بنى خارجَ سورِ المدينة تلالاً كهيئة الجبالِ تضمُّ الألوفَ من الأبراجِ المرتفعةِ في الهواءِ المبنيَّة بقطعِ الذهبِ والفضة ليسكنَها جنودُه، ومكثَ في بنائها خمسمائة عام.

وإنَّ اللهَ تعالى لما أذنَ أن يُقيمَ الحجَّةَ على (شداد) وقومه، اختارَ لرسالته إليه سيدَنا (هودًا) عليه السلامُ وكان من صميم قومه وأشرافهم، ثم إن (هودًا) أتاهُ فدعاهُ إلى الإسلام والإقرار بربوبية الله عزَّ وجلَّ ووحدانيته وأن اللهَ ليسَ كمثله شيءٌ، فتمادى (شدادٌ) في كفرهِ وزيَّنَ لهُ (إبليسُ) ما فعلَ من بناءِ المدينة التي لم يخلق مثلها في البلاد فلم يَنْصَعْ لما أمرَه به (هودٌ) عليه السلام، وذلك حين تمَّ لملكه سبعمائة عام، فأُنذرَ بالعذابِ وخُوِّفَ بزوالِ الملْكِ، فلم يرتدعْ عمَّا كان عليه ولم يُجِبْ (هودًا) إلى ما دعاهُ إليه.

وعادَ الوكلاءُ إلى (شداد) وقد أنهوا بناءَ المدينة وأخبروهُ بالفراغ منها، فعزمَ على الخروج إليها، فخرجَ في موكبٍ عظيم بين حراسه ومواليه وخَدَمهِ وحَشَمِه ووزرائه وأُمرائه، وسارَ نحوَها وخلَّفَ على مُلْكه (بحضرموتَ) وسائرِ أرضِ العربِ ابنَه (مَرْثَدَ بنَ شداد) وكانَ (مرثدُ) هذا على ما يقالُ مسلمًا مؤمنًا بنبي اللهِ (هودٍ) عليه السلام. فلما قَرُبَ (شدادٌ) من المدينة وباتَ على مسيرة يوم وليلة، وكان صارَ له من العمرِ تسعمائة عام جاءتْ صيحةٌ عظيمةٌ من السماءِ فاجأت الجميعَ فماتَ هو وأصحابُهُ أجمعون، حتى لم يبقَ منهم ناقلُ خبر، وماتَ جميعُ من كان بالمدينة من الفَعَلَة والصُّنَّاع والوُكلاء، وبقيتْ خلاءً لا أنيسَ لها، وحُجبتْ عن أعينِ الناس.

ولما هلكَ (شدادُ بنُ عاد) ومن معهُ من الصيحة، ملكَ بعدَهُ ابنُهُ (مرثدُ بنُ شداد) فأمرَ بحملِ أبيه من تلكَ الصحراءِ إلى (حضرموتَ) ليدفنَه، فحُفرتْ له حفرةٌ بين الصخورِ وجُعلَ على سريرٍ من ذهبٍ وأُلقيتْ عليه سبعونَ حُلَّةً منسوجةً بقضبانِ الذهبِ التي لن ينتفعَ بدرهم منها لأنه ماتَ على غيرِ الإسلام، ووُضعَ عند رأسه لوحٌ عظيمٌ ذهبيٌّ كُتبَ به لسانُ حالِ (شداد):

اعتبِرْ يا أيها المغـ
ـرورُ بالعمرِ المديدِ
أنا شدَّادُ بنُ عادٍ
صاحبُ الحصنِ المشيدِ
وملكتُ الشرقَ والغرْ
بَ بسلطانٍ شديدِ
فأتى هودٌ وكُنَّا
في ضلالٍ قبلَ هودِ
فدعانا لو قَبِلنا
كانَ بالأمرِ الرشيدِ
فعصيناهُ ونادى
ما لكم؟ هل من محيدِ
فأتتنا صيحةٌ تهـ
وي من الأفقِ البعيدِ
فتوافَيْنا كزرعٍ
وَسْطَ بيداءٍ حصيدِ

الإسلام والنور

عادل حسن المرزوقي
رئيس قسم الرقابة والتوجيه بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري

ما من كلمة أصدق ولا تعبير أدق من إخبار الله عز وجل عن حقيقة الإسلام بأنه نور، وعن واقع الكفر بأنه ظلمات كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

روى الترمذي والنسائي والبيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة

إنها حقيقة يجد المؤمن حلاوتها في قلبه، ويتذوق طعمها في كيانه، ويجني ثمارها في جميع مفردات حياته: وفي رؤيته للواقع، وتقديره للأشخاص، وتقييمه للأحداث، وتقويمه للأشياء.

وما أن يخرج الإنسان من نور الإسلام إلا ويعيش في ظلمة من الظلمات، أو في ظلمات مجتمعة، لأن الكفر ظلمات... ظلمات متنوعة، ومتعددة... ظلمة الهوى والشهوة والشهرة والنزعات ... وظلمة الشرود والاندفاع في التيه... وظلمة الشك والقلق والحيرة والانقطاع عن الهدى... والوحشة من الجناب الآمن ... وظلمة اضطراب الموازين... وتخلخل الأحكام ... وتحلل القيم .

ولن ينقذ الناس من هذا الظلام ... إلا نور الله المبين الذي يُشرق في قلوبهم بإذن الله، ويغمر أرواحهم، ويهديهم إلى فطرتهم وهي:

فطرة هذا الدين القيِّم، قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المَائدة ١٦].

وطريق الدعوة إلى الله نور على نور، فقد وصف الله نفسه بأنه نور السموات والأرض، فقال عز من قائل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور:٣٥]، ووصف نفسه بأن حجابه النور كما في الحديث الذي رواه الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

وجعل الله كتابه نوراً، كما في قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[التغابن:٨].

وجعل الله دينه نوراً فقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

فطريق الإسلام والإيمان بالله نور على نور غايتها وسبيلها ومعالمها، فالإسلام واضح المعالم، واضح الأحكام، بين في كل جوانبه، فقد قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وتركنا رسول الله ﷺ على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولكن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

ولئن كان أعداء الله يحاربون نور الله سواء بما يطلقونه من أكاذيب ودسائس وفتن، وهم يحرضون على حرب هذا النور وأهله، والوقوف سداً في وجهه بكل قوتهم وإمكاناتهم، كما هو الواقع على مدار التاريخ، فإن الله عز وجل وعدنا بأنه سيتم نوره

وسيظهره، ولو كره الكافرون، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢].

هذه الآية تصور الموقف الدائم لأعداء الله مع هذا المنهج النير المتمثل في دين الله تعالى الحق الذي يهدى للتي هي أقوم.

وإن سنة الله تعالى التي لا تتبدل وقضاءه الذي لا يتحول، تؤكد أنه تعالى متم نوره بإظهار دينه ولو كره المشركون، فيمكرون لكن مكرهم يبور. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

إن هذا الوعد الإلهي حق تطمئن له قلوب الذين آمنوا، وتسكن له نفوس الذين اتقوا ... فيدفعنا هذا إلى المضي في طريق الله، لا يضرنا من خذلنا ولا من خالفنا، لأننا متيقنون أن هذا النور لابد أن يعم الأرض، لكنه يعمُّ بالمسلمين الدعاة الذين يحملون هذا النور ويمشون به بين الناس وينشرونه بينهم، ليحيوا بنور الله الموتى، ويزيلوا الغشاوة عن أصحاب العمى.

قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢].

فما على المسلمين إلا أن يستضيئوا بنور الله، ويعتصموا بحبل الله وأن يسألوا الله جل وعلا أن يفيض عليهم من نوره بقدر ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو كما في الحديث المتفق عليه: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا».

وروى الإمام البخاري في الأدب

على المسلم أن يلتزم بشرع الله ليكسوه الله من نوره، وليستضيء بضياء ربه، وذلك بفعل الواجبات والطاعات

المفرد عن شقيق قال: كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، يكثر أن يدعو بهؤلاء الدعوات: «ربنا أصلح بيننا، واهدنا سبل الإسلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، واصرف عنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها، قائلين بها، وأتممها علينا».

فعلى المسلم أن يلتزم بشرع الله ليكسوه الله من نوره، وليستضيء بضياء ربه، وذلك بفعل الواجبات والطاعات، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بشر المشاءين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة». رواه الترمذي وأبو داود.

قال إبراهيم النخعي: (كانوا يرون أن المشي إلى الصلاة في الليلة الظلماء موجبة لصاحبها الجنة). فوعدهم الله من النور الإلهي يوم القيامة بالنُّور التَّامِّ الَّذي يُحيطُ بهمْ منْ جَميعِ جِهَاتهمْ، ويسعى بين أيديهم وبأيمانهم، لمَّا قاسَوْا مَشَقَّةَ المَشْي في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ في هذه الحياة الدنيا فجُوزُوا على ذلك بنُورٍ يُضِيءُ لَهُمْ ويُحيطُهُمْ يوم القيامة، وما ذلك إلا لأهل الإيمان الملازمين للبيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، قالَ الطِّيبيُّ: (في وَصْفِ النُّورِ بالتَّامِّ وتَقْييده بيَوْمِ القِيامَةِ تَلْميحٌ إلَى وَجْهِ المُؤمنينَ يَوْمَ القِيامَةِ في قَوْله تَعَالَى: ﴿نُورهمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْديهمْ وَبأَيْمَانهمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورنَا﴾، وإلَى وَجْه المُنَافقينَ في قَوْله تَعَالَى: ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ منْ نُوركُمْ﴾.

وروى الترمذي والنسائي والبيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة» فقال رجل: إن رجالا ينتفون الشيب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من شاء نتف شيبه ! أو قال: نوره».

أيْ أن شعرة واحدة بيضاء في الإسلام -التي يستنكف منها الكثير من الرجال اليوم- تكون لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَة، أيْ ضِيَاءً وَمُخَلِّصًا عَنْ ظُلُمَاتِ الْمَوْقِفِ وَشَدَائِدِه ونُورًا يَهْتَدِي به صَاحِبُهُ.

فنسأل الله أن ينور قلوبنا في الدنيا، فالنور إذا دخل في القلب انشرح القلب وأحس بالسعادة والهناء، وعلامة ذلك التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار السرور، والاستعداد للموت قبل الموت، ومن استنار قلبه أصاب في قوله، ولم يخطئ في منطقه، وتكون أعماله متقنة، وأفعاله محكمة؛ لأنه يرى الأشياء كما هي، فلا تلتبس عليه الأمور، ولا تتشابه له الأحوال؛ لأنه ينظر بنور الله، ومن نظر بنور الله أبصر الشيء كما هو، فأصاب سبل الهداية، وأدرك سبل الرشاد في إشارته، والله هو الموفق والمرشد، ومن حصَّل هذا النور بإسلامه وإيمانه وعبادته فعليه أن ينشر هذا النور، ويدعو إليه، فالإسلام نور... وما النور إلا الإسلام، ولكن أين الذين يحملون هذا النور وينشرونه في الآفاق؟فنسأل الله أن ينير قلوبنا في الدنيا، ووجوهنا في الآخرة يوم نلقاه إنه مجيب الدعاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا، إنه هو السميع البصير﴾ [سورة الإسراء، الآية: ١].

ملف العدد

ذكرى الإسراء والمعراج
دروس وعبر

طلال حافظ درويش

إنها معجزة من معجزات الله سبحانه وتعالى التي أيد بها نبيه الكريم، بل إنها تكريم من الله لحبيبه المصطفى وتسرية عنه لما كان يلقاه من متاعب وآلام في سبيل تبليغ الدعوة، وإعلاء كلمة الله في الأرض.

أجل! إنها رحلة روحية أرادها الله سبحانه وتعالى تسلية لنبيه وتقوية لروحه صلى الله عليه وسلم حتى يظل مستمسكاً بالذي أوحي إليه، موقناً أنه على الحق المبين، واثقاً بأن الله جل شأنه لن يتخلى عنه أبداً.

ولقد حدّدت الآية الكريمة بوضوح أن المسري هو الله جلت قدرته، والمسرى به هو النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وأن منطلق الرحلة من المسجد الحرام في مكة المكرمة، وأن منتهاها إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس.

وأن توقيت هذه الرحلة كان ليلاً، وأن الإسراء كان بالروح والجسد معاً، وإلا لم يكن ليحدث هذا الأثر العظيم وتلك الضجة الكبرى بين القوم آنذاك.

فالإسراء بهذا المعنى رحلة حقيقية حدثت للنبي صلى الله عليه وسلم ولأهميتها وعظمتها فقد أفردت لها سورة خاصة هي سورة (الإسراء).

وقد حدثت هذه الرحلة في السنة السابقة للهجرة، ويرجح أنه حدث في الليلة السابعة والعشرين من شهر رجب، وهو أحد الأشهر الأربعة الحرم ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ [سورة التوبة، الآية:٣٦].

ولعلنا إذا وقفنا عند الآية الكريمة نستطيع أن نتلمس عظمة المكان الذي انطلقت منه الرحلة وهو المسجد الحرام، وضرورة أن يكون منطلقاً لنهضة هذه الأمة ووحدتها، وأن يكون مهوى أفئدتهم، لذا ينبغي أن يبقى طاهراً مصوناً بريئاً من الشرك والظلم والفساد.

وكذلك فإن تحديد الآية الكريمة لمنتهى الرحلة وهو المسجد الأقصى فيه توجيه وتنويه بأهمية هذه البقعة المقدسة، وهو ما يوجب علينا نحن المسلمين أن نعمل بكل ما نستطيع لتطهيرها وتحريرها لتكون كما أرادها الله سبحانه وتعالى رمزاً وقلعة للتوحيد ومنارة للإيمان.

ومن جوانب عظمة هذا الحدث أنه فرضت فيه أعظم فريضة وهي الصلاة التي هي عماد الدين وركنه الركين.

وكذلك فإن صلاة النبي ﷺ إماماً بالأنبياء قبل عروجه إلى السماء فيه دلالة واضحة على أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هو إمام الأنبياء وسيد المرسلين وأشرفهم وأفضلهم على الإطلاق، وفيه إشارة إلى عظمة الرسالة التي حملها النبي وهي رسالة الإسلام خاتم الرسالات السماوية: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧].

تكريم من الله لحبيبه المصطفى وتسرية عنه لما كان يلقاه من متاعب وآلام

وفي هذا تكريم للنبي صلى الله عليه وسلم ولهذا الدين العظيم على السواء ولله درّ أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال في هذه الرحلة العظيمة:

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه
والرسل في المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به التقوا بسيدهم
كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذي خطر
ومن يفز بحبيب الله يأتمم
جبت السموات أو ما فوقهن بهم
على منورة درية اللجم
ركوبةٌ لك من عزّ ومن شرف
لا في الجياد ولا في الأنيق الرسم
مشيئة الخالق الباري وصنعته
وقدرة الله فوق الشك والتهم
حتى بلغت سماءً لا يطارلها
على جناحٍ ولا يسعى على قدم

الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله، يوم أسري بك من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعرج بك إلى السماوات العلا تكريماً لك وترويحاً عنك، وإعلاء لشأنك.

فإذا كان الجاهلون من أهل مكة والطائف لم يعرفوا قدر هذا النبي الكريم فإن رسل الله وأنبياءه وملائكته وأصفياءه يعرفون قدره، وكفى بهم عارفين ومقدرين.

وبعد فنحن لا نريد أن نغوص كثيراً في تفاصيل هذا الحدث العظيم

فقد تولت ذلك كتب السيرة، ولكننا نريد أن نقف على بعض المحطات والدروس المستفادة من هذه الذكرى العظيمة، لعلنا ننتفع بها، ونأخذ منها العبرة، بما يعود علينا بالخير والفلاح.

فما أحوجنا إلى الإسراء من حياة الفساد إلى حياة الرشاد، من حياة الجهل إلى حياة العقل، من حياة اللهو والغفلة والضلال إلى حياة الحياء والعفة والكسب الحلال.

ما أحوج السياسي إلى معراج من حياة المطامع الشخصية إلى حياة الإخلاص لله، حتى تكون مصلحة الأمة فوق المال وفوق المناصب الرفيعة وفوق الدنيا التي ستكون حطاماً.

وما أحوج العالم إلى معراج يرقى به من حياة السكوت على المعاصي إلى إنكار المنكر، وقول الحق لدى جائر أو منكر أو مستهين بحرمة الدين.

وما أحوج التاجر الذي عبد المال فحكم عليه بسجن لا يخرج منه إلا بعد موته، إلى معراج يرقى به إلى حياة البذل للخير في مدارسه ومعابده ومشافيه وحياته.

وما أحوجنا جميعاً كل في موقعه إلى أن نستلهم من هذه الذكرى ما يرقى بنا وينقلنا إلى حيث التقدم والتطور والسمو، لنعيد لهذه الأمة مكانتها اللائقة، ودورها الريادي بين الأمم والشعوب.

ألا ما أجلك ياعظة الإسراء! وما أصدق وحيك وتوجيهك!.

ألا ما أجمل هذه الذكريات النبوية وما أروعها تهب على العالم الإسلامي الواحدة تلو الأخرى كما تهب النسمات الندية الفواحة على من عانى من الحر والحيرة في صحراء الحياة، فتنشط خاملاً وتلبي سائلاً، وتهدي ضالاً، يعلم أن وراء تلك الأنفاس العطرة جنات ذات قرار ومعين، يصفو فيها النعيم ويطيب المقام. وبعد فهذه ذكرى الإسراء والمعراج تطالعنا بقدسيتها ودروسها ومن حولنا أحداث وفتن، وفي وطننا غزة محتلون لأرضنا مستبيحون لحرماتنا.

وهذه فلسطين الجريح والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين يئن تحت وطأة أولئك الغاصبين ويستصرخنا ويستنهض عزائمنا كي نخلصه ونحرره ونعيد إليه ألقه وصفاءه وقدسيته.

حجازي إبراهيم

الإسراء والمعراج

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ. يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ - قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ. قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ[2]. ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. ثُمَّ خَرَجْتُ»[3].

وعَنْ أَنَسِ بن مالك قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ افْتَحْ قَالَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَالَ هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ قَالَ نَعَمْ مَعِي مُحَمَّدٌ فَقَالَ أَأُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ[4] إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ قُلْتُ لِجِبْرِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا آدَمُ وَهَذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ[5] بَنِيهِ فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَقَالَ لِخَازِنِهَا افْتَحْ فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُ فَفَتَحَ» قَالَ أَنَسٌ فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ آدَمَ وَإِدْرِيسَ ومُوسى وعِيسَى وإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ولَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلَهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ قَالَ أَنَسٌ فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِالنَّبِيِّ بِإِدْرِيسَ قَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا إِدْرِيسُ ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا مُوسَى ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى فَقَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا عِيسَى ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الْأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولَانِ قَالَ النَّبِيُّ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ». قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ النَّبِيُّ «فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ

صَلاَةً فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فقالَ مَا فَرَضَ اللَّه لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ قُلْتُ فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاَةً قال فارْجِعْ إلي رَبِّكَ فإنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطيقُ ذَلِكَ فَراجَعَني فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَرَجَعْتُ إلَى مُوسَى قُلْتُ وَضَعَ شَطْرَهَا فقال رَاجِعْ رَبكَ فَإنَّ أُمَّتَكَ لا تُطيقُ فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَرَجَعْتُ إلَيْه فقال ارْجِعْ إلَى رَبِّكَ فَإنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطيقُ ذَلِكَ فَرَاجَعْتُهُ فقال هِيَ خَمْسٌ وَهْيَ خَمْسُونَ لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ فَرَجَعْتُ إلى مُوسَى فقال رَاجِعْ رَبَّكَ فَقُلْتُ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّيَ ثُمَّ انْطَلَقَ بي حَتَّى انْتَهَى بي إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى وغَشيَهَا أَلْوَان لاَ أَدْري مَا هِيَ ثُمَّ أُدْخلْتُ الجَنَّةَ فَإذَا فيهَا حَبَائِلُ[6] اللُّؤْلؤ وَإذَا تُرَابُهَا المِسْكُ»[7].

الإسراء بالجسد والروح:

يقول القاضي عياض - رحمه الله: اختلف الناس في الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل: إنما كان جميع ذلك في المنام، والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، أنه أسري بجسده صلى الله عليه وسلم والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها، ولا عدل عن ظاهرها إلا بدليل، ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل[8].

قال ابن حجر: نعم جاء في بعض الأخبار ما يخالف بعض ذلك، فجنح لأجل ذلك بعض أهل العلم منهم إلى أن ذلك كله وقع مرتين:

مرة في المنام توطئة وتمهيدا، ومرة ثانية في اليقظة كما وقع نظير ذلك في ابتداء مجيء الملك بالوحي[9].

واختلفوا في الشهر الذي وقع فيه الإسراء. فقيل: كان في شهر ذي القعدة، وقيل: في ربيع الأول. وقيل: كان الإسراء ليلة السابع والعشرين من رجب. وقيل غير ذلك. والله أعلم.

الإسراء فتنة وابتلاء للمؤمنين:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك في صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس. قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن قال ذلك، لقد صدق. قالوا: فتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم. إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبا بكر الصديق[10].

حكمة الإسراء إلى المسجد الأقصى:

والحكمة في العروج من المسجد الأقصى دون أن يكون العروج مباشرة من المسجد الحرام، حتى يجمع النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة بين رؤية القبلتين، أو لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله، فحصل له الرحيل إليه في الجملة ليجمع بين أشتات الفضائل، أو لأنه محل الحشر، وغالب ما اتفق له في تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية، فكان المعراج منه أليق بذلك، أو للتفاؤل بحصول أنواع التقديس له حسا ومعنى أو ليجتمع بالأنبياء جملة[11].

وقال ابن أبي جمرة: الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء إردة إظهار الحق لمعاندة من يريد إخماده؛ لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء، لم يجد لمعاندة العداء سبيلا إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر أنه

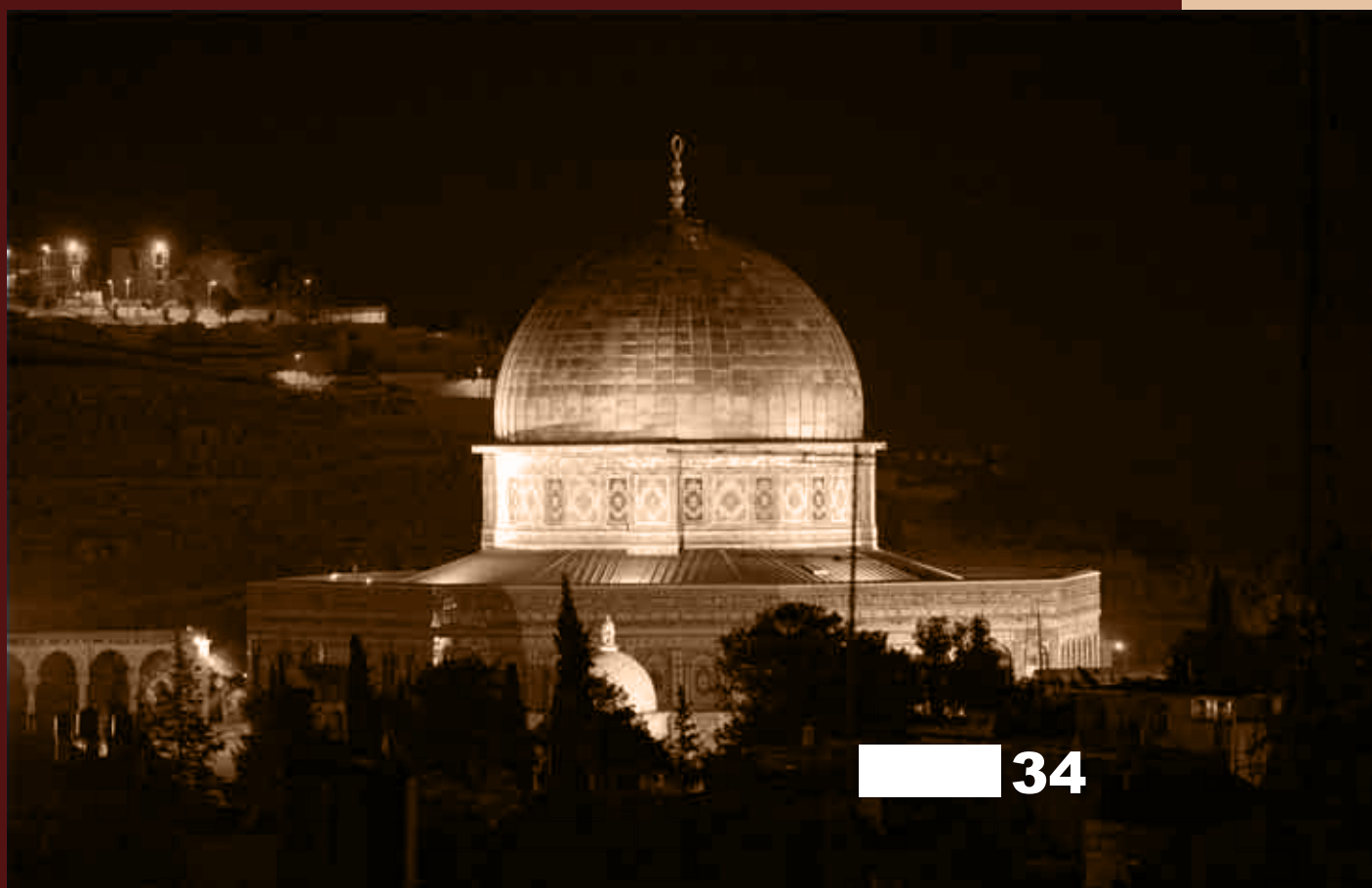

أسري به إلى بيت المقدس، سألوه عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس، كانوا رأوها، وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس في ليلة، وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره، فكان ذلك زيادة في إيمان المؤمن، وزيادة في شقاء الجاحد والمعاند[١٢].

المسجد الأقصى أمانة في عنق كل مسلم:

في الآية القرآنية التصريح بالإسراء، ومن لطائفها ذكر المسجد الأقصى مع أنه لم يكن مسجداً اصطلاحاً بل معبداً، فإطلاق الله تعالى عليه مسجداً بحسب ما كان في العلم عنده منذ الأزل، وبحسب ما سيكون في المستقبل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفي أكبر حافز للمسلمين ليتقدموا لفتح تلك البلاد ويعيدوا لهذا المسجد كينونته بأن يجعلوا منه مسجداً يذكر فيه اسم الله كثيرا، كما يهيب بهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يحافظوا على هذه البقعة المباركة وأن تكون في حوزتهم حتى يتمكن كل مسلم من أن يشد إليها الرحال في أي وقت أراد، ومن هذا الفهم فإنه لا يحق لأحد أن يتنازل عن أي شبر من هذه الأرض التي هي ملك لكل المسلمين، ورحم الله سماحة المفتي الأكبر الشيخ محمد أمين الحسيني حيث عرض عليه اليهود نصف مليون جنيه ليتنازل لهم عن ثلاثة عشر متراً في المسجد الأقصى فأجاب في إيمان وعز المؤمنين: والله لو جمعتم مال اليهود في العالم ما تركت لكم نصف متر.

استخلاصات للسلف من الحديث:

- وفي ربط البراق الأخذ بالاحتياط في الأمور، وتعاطي الأسباب، وأن ذلك لا يقدح في التوكل، إذا كان الاعتماد على الله تعالى.
- وفيه استحباب لقاء أهل الفضل بالبشر والترحيب والكلام الحسن والدعاء لهم وإن كانوا أفضل من الداعي.
- وفيه جواز مدح الإنسان في وجهه، إذا أمن عليه الإعجاب وغيره من أسباب الفتنة.
- وفيه دليل على علو منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم وارتفاع درجته وإبانة فضله، حيث ارتفع فوق منازل سائر الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - وبلغ حيث بلغ من ملكوت السماوات.
- وفيه إثبات الاستئذان وبيان الأدب فيما إذا استأذن أحد بدق الباب ونحوه، فإذا قيل له: من أنت؟ يقول: فلان، ولا يقول: أنا.
- وفيه فضل السير بالليل على السير بالنهار لما وقع من الإسراء بالليل، ولذلك كانت أكثر عبادته صلى الله عليه وسلم بالليل، وكان أكثر سفره صلى الله عليه وسلم بالليل، وقال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل»[١٣].
- وفيه أن التجربة أقوى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة، يستفاد ذلك من قول موسى - عليه السلام - للنبي صلى الله عليه وسلم: أنه عالج الناس قبله وجربهم، ويستفاد منه تحكيم العادة، والتنبيه بالأعلى على الأدنى؛ لأن مَنْ سلف من الأمم كانوا أقوى أبدانا من هذه الأمة، وقد قال موسى في كلامه إنه عالجهم على أقل من ذلك فما وافقوه[١٤].

هوامش

(١) سورة الإسراء، الآية: (١).

(٢) «الحلقة التي يربط به» فكذا هو في الأصول به بضمير المذكر، أعاده على معنى الحلقة وهو الشيء، قال صاحب التحرير: المراد حلقة بيت مسجد بيت المقدس، والله أعلم. وفي ربط البراق الأخذ بالاحتياط في الأمور وتعاطي الأسباب، وأن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان الاعتماد على الله تعالى، والله أعلم.

(٣) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق ٢ / ٢٠٩/ ١٦٢. الإيمان - باب الإسراء.

(٤) «أسودة» جمع سواد، كالأزمنة جمع زمان، والسواد الشخص، وقيل: الجماعات، وسواد الناس: عوامهم، وكل عدد كثير، والجمع: أسودة، وأساودة جمع الجمع.

(٥) «نسم بنيه» النسم: بفتح النون والسين، والنسمة: نفس الروح، وما بها نسمة أي: نفس، والجمع: نسم. وهي النفس، والمراد أرواح بني آدم.

(٦) «حبائل اللؤلؤ» حبائل، فيكون أراد به مواضع مرتفعة كحبال الرمل، كأنه جمع: حبالة، والحبائل القلائد والعقود، أي: فيها اللؤلؤ كحبال الرمل.

و: الجنابذ، جمع: جنبذ، بضم الجيم وسكون النون وبالموحدة المضمومة وبالذال المعجمة: وهو ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة.

(٧) النووي على مسلم ٢ / ٢٠٩ (٢٥٩ (١٦٢).

(٨) النووي على مسلم ٢ / ٢٠٩.

(٩) فتح الباري ٧ / ١٩٧.

(١٠) الدر المنثور وعزاه إلى: الحاكم وصححه وابن مردوية والبيهقي في الدلائل.

(١١) فتح الباري ٧ / ١٩٧.

(١٢) فتح الباري ٧ / ٢٠١.

(١٣) أبو داود ٣ / ٢٨ / ٢٥٧١.

(١٤) فتح الباري ٧ / ٢١٧.

شيخ أئمة الحديث

الإمـــام البخـــاري

نموذج سيرة

أحمد عبدالله علي الغربي

قال الإمام أحمد بن حنبل: «ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل»، وأثنى عليه محمد ابن بشار الملقب ببندار بأنه أفقه خلق الله في زمانه. وقال حاشد بن إسماعيل «رأيت إسحاق بن راهويه جالساً على المنبر والبخاري جالس معه، وإسحاق يحدث، فمر بحديث فأنكره محمد (يعني: البخاري)، وكان شاباً فرجع إسحاق إلى قوله وقال: «يامعشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمن الحسن بن أبي الحسن البصري لاحتاج إليه لمعرفته بالحديث وفقهه». (مقدمة فتح الباري ٧٥٣).

إن ذلك الشاب هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، الحافظ الحجة، المعول عليه في أحاديث سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم شيخ أئمة الحديث الثلاثة: مسلم والترمذي والنسائي، وحيد خراسان علماً وفقهاً وحفظاً وعقلاً.

علا عن المدح حتى ما يزان به
كأنما المدح من مقداره يضع
قاصي المراتب داني الفضل تحسبه
كالشمس يبدو سناها حين ترتفع
له الكتاب الذي يتلو الكتاب هدى
هذي السيادة طوداً ليس ينصدع

مكانته العلمية:

أشرقت شمسه وهو لما يبلغ الحلم، وأبلج نهاره وهو في ريعان شبابه، وأضاءت سماؤه وهو لما يزل في ذروة صباه، حبب إليه العلم في الصغر، فعكف عليه وعلى حفظه، وأعانه عليه ذكاؤه المفرط وهمته القوية، كان يحفظ في صباه سبعين ألف حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع معرفته برجال سند كل حديث، فهو يحفظ الحديث دراية ورواية، متناً وسنداً، تاريخاً ورجالاً، بل يحفظ لكل حديث أصلاً من الكتاب أو السنة، قال السبكي في طبقاته (طبقات الشافعية الكبرى ١/ ٤٢٦): قال محمد بن أبي حاتم: سمعت سليم بن مجاهد يقول: كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبياً (يعني: البخاري) يحفظ سبعين ألف حديث، قال سليم بن مجاهد: فخرجت في طلبه فلقيته، فقلت: أنت تقول: أنا أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم وأكثر، ولا أجيئك بحديث عن الصحابة أو التابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروي حديثاً من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظاً عن كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم». فهذا هو الإمام البخاري، وهكذا كان حفظه، وهكذا كان علمه، أدرك من قبله ولم يلحقه من بعده.

حفظه للحديث:

تعجب من حفظه أقرانه، ولفت حفظه أنظار شيوخه ومعاصريه، وفي الحقيقة فإن حفظه قد بلغ رقماً قياسياً قلما يستطيعه أحد. حكى أحدهم أنه سمع إسحاق بن راهويه يقول عن نفسه: «كأني أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي، فقال له الإمام البخاري: أو تعجب من هذا؟!! لعل في هذا الزمان من ينظر إلى مائتي ألف حديث من كتابه». وإنما عنى البخاري نفسه بذلك، فكان يستعيد ويستظهر مائتي ألف حديث.

نعم إنها مائتا ألف حديث ليست ألفا ولا ألفين ولا عشرة آلاف ولا عشرين، إنه رقم كبير جداً لا يحيط به إلا إمام حافظ ولا يحويه في عصرنا إلا موسوعة من الموسوعات الحديثية أو برنامج من برامج الحديث، ولا غرو أن يكون ذلك هو البخاري. وكما قال البخاري آنفاً لصاحبه: أتعجب من هذا؟ فأقول لك: أتعجب من هذا، فإن قلت: نعم ، فاعلم أن البخاري كان يحفظ فوق تلك المئتين مئة ألف حديث أخرى.

ومما يزيدنا عجباً أن حفظه لم يكن قاصراً على متن الحديث الصحيح فقط، بل كان يحفظ الصحيح وغير الصحيح، قال محمد بن خمرويه: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: «أحفظ مئة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح (الطبقات للسبكي ١/ ٤٢٧) أي إنه يحفظ ثلاثمئة ألف حديث.

إنه رقم كبير في عالم الحديث الشريف، ومع كبره فإن حفظه قد تجاوز ذلك بكثير جداً، ولك أن تحسب مجموع ما يحفظ من خلال الرواية الآتية، قال السبكي: قال جعفر بن محمد القطان: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كتبت عن ألف شيخ أو أكثر، عن كل واحد منهم عشرة

ألاف وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده «(الطبقات للسبكي ١/ ٤٣١)، فاضرب عدد شيوخه في عشرة آلاف لتفاجأ بالنتيجة، ولتعجب من سعة حفظه وإتقانه؛ ولتتيقن أنه ما بلغ الدرجة والمكانة التي تربعها إلا بمثل هذه الأرقام القياسية الكبيرة من الحفظ والإتقان.

وهذا الحفظ المتين للحديث قد رفع شأنه وأعلى قدره، وجعله إماماً مهيباً بين أقرانه، مُهاباً عند شيوخه مقدماً عند أبناء عصره، ثقة في أنظار خصومه ومعانديه، تميز على أقرانه ومعاصريه بقوة حفظ الحديث وكثرته، متناً وسنداً، ولئن كان حفظ هذه الأرقام الكبيرة متناً عسيراً، فإن حفظ أسانيدها ورجالها أشد عسراً وأكثر صعوبة، ولكن لا تعجب فهو البخاري، نعم، إنه البخاري الذي لا يخشى في ميدان الحديث أحداً ولا يُلبَّس عليه أحدٌ سنداً.

امتحان محدثي بغداد وسمرقند لحفظه:

قدم بغداد فاجتمع أصحاب الحديث فعمدوا إلى مئة حديث فقلبوا أسانيدها وتقاسمها عشرة منهم، كل واحد منهم سأله عن عشرة أحاديث مقلوبة السند، فقال عنها كلها: لا أعرفها، نعم إنها إجابة حافظ واثق لايتطرق إلى حفظه شك ولا ارتياب، نعم فهو لا يعرف هذه الأسانيد بعينها لهذه الأحاديث بعينها، ولكنه يعلم هذه الأسانيد لأحاديث أخرى ويعرف هذه الأحاديث بأسانيد أخرى، فلم يزدهم على قوله عند كل سؤال عن حديث مقلوب السند: لا أعرفه، فلما فرغوا التفت إلى الأول، فقال: أما حديثك الأول فإسناده كذا وكذا، والثاني كذا وكذا، إلى آخر العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وفعل بالثاني مثل ذلك إلى أن فرغ، فما كان منهم إلا أن أذعنوا واعترفوا وأقروا له بالفضل والحفظ والإتقان والإمامة والتميز (الطبقات للسبكي ١/ ٤٢٧- ٤٢٨).

وحكى سليم بن مجاهد عن أبي الأزهر أنه قال: «كان بسمرقند أربعمئة ممن يطلبون الحديث، فاجتمعوا سبعة أيام وأحبوا مغالطة البخاري، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين، فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن». (سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤١١)، وإن تعجب من حفظه للحديث متناً وسندا فلك أن تعجب أشد، من حفظه للأسانيد المقلوبة التي امتحنوه بها وحفظها مقلوبة في مجلس واحد ومن سماع واحد.

وهذا الأمر في الحقيقة جد غريب، ولكنه ليس عليه بغريب، فهو منذ صباه ومنذ حضوره إلى السماع عند شيوخه كان ذلك ديدنه في الحفظ، فأصحابه يكتبون وهو لا يكتب وإنما يسمع فيحفظ.

أسباب قوة حفظه:

ما سر هذا الحفظ؟ وما أسبابه؟ وما هي بوادره؟ وما أولياته؟ وكيف اكتسب هذه المهارة؟ وكيف استطاع حفظ هذا المقدار كله؟!! حتماً إن لذلك لسراً، ولا أشك لحظة واحدة في أن سر ذلك يعود إلى نشأته ورحلاته وهمته العالية وصلاح والديه. وهاك طرفاً من تلك الأسباب الثلاثة:

(أ) ولادته ونشأته ورحلاته العلمية:

ولد الإمام البخاري ببخارى أعظم مدن ما وراء النهر، الواقعة على بعد ثمانية أيام من سمرقند ببلاد فارس، في يوم الجمعة الثالث عشر من شوال سنة ١٩٤هـ، ونشأ يتيماً تحت كنف والدته التقية الصالحة، فارتضع ثدي الفضل، ومال قلبه إلى حفظ الحديث وتحقيقه. قال عن نفسه: (ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب) أتدري كم كان عمره وهو في الكتاب؟ إن عمره آنذاك كان عشر سنوات أو أقل، ثم زادت همته وعلت، وزاد حفظه وقوي، فمهر في علل الحديث والاطلاع على أحوال الرواة ومعرفة عدالتهم وضبطهم وأمانتهم وصدقهم ومعيشتهم ومسكنهم ومولدهم ووفياتهم، كما مهر في معرفة السند اتصالاً وانقطاعاً ومقارنة، ثم في استنباط المسائل الفقهية من الحديث، حتى بلغ بفنون الحديث غايتها وذروتها ومنتهاها. (ينظر: سيرة الإمام البخاري ٤٩).

وأما رحلاته العلمية: فقد كانت أولى رحلاته تلك التي توجه فيها للحج برفقة أمه وأخيه، فرجع أخوه وأمه، ومكث هو في مكة يطلب الحديث، ثم ارتحل إلى المدينة المنورة ومكث فيها عاماً كاملاً، ثم ارتحل إلى البصرة ومكث فيها خمس سنين كان يحج في كل موسم ليلتقي بالمحدثين القادمين من مختلف الأمصار، ثم ارتحل إلى الشام ومصر والجزيرة وعاد إلى البصرة أربع مرات، ثم أقام بالحجاز ستة أعوام وتردد على الكوفة وبغداد ترداداً لا يكاد يحصى عدده. (ينظر: سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤١١، وشذرات الذهب ٢/ ١٣٤، والإمام البخاري محدثاً ٢٩).

(ب) علو همته:

وأما علو همته فقد قال عن نفسه: «لو قيل لي: تمنّ، لما قمت حتى أروي عشرة آلاف حديث في الصلاة خاصة»، وقال وراقه: سمعته يقول: ما نمت البارحة حتى عددت كم أدخلت في تصانيفي من الحديث فإذا نحو مائتي ألف حديث». وقال أيضاً: «قلت له مرة في خلوة: هل من دواء للحفظ؟ فقال: لا أعلم شيئاً أنفع للحفظ من نهمة الرجل ومداومة النظر». (مقدمة فتح الباري ٧٥٧).

وتحدث محمد بن يوسف الفربري عن همته فقال: «كنت عند محمد ابن إسماعيل البخاري بمنزله ذات ليلة، فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في ليلة ثماني عشرة مرة»، وذات يوم أتعب نفسه بالنهار فلما أراد أن يكتب في الليل لم يستطع أن يكتب جالساً فاستلقى على قفاه وكتب. (تاريخ بغداد ٢/ ١٤).

(ج) والداه:

فأما والده فكان شيخاً صالحاً عالماً محدثاً روى عن مالك وروى عنه العراقيون، قال البخاري: «سمع أبي

من مالك بن أنس وصافح ابن المبارك بكلتا يديه»، (سيراً علام النبلاء ٣٩٢/١٢). وكان والده تاجراً ورعاً محتاطاً في كسبه مجتنباً مواضع الشبهات، قال عن نفسه: «لا أعلم من مالي درهماً من حرام ولادرهماً من شبهة». (مقدمة فتح الباري ٧٤٤).

فمن هذه المائدة المباركة تغذى الإمام البخاري، ومن هذا الكسب الطيب نمت أعضاؤه وجوارحه فأثمرت ثماراً صالحة وأنبتت نباتاً حسناً.

وأما والدته فقد كانت امرأة صالحة تقية عابدة، يدلك على ذلك رؤيتها النبي إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وأنه بشرها بأن الله تعالى رد على ابنها بصره، وكما تعلم فإن رؤيا الأنبياء حق، وكما تعلم أيضاً فإن الرؤيا الصالحة تدل على صلاح الرائي ولا سيما إن صدقت رؤياه وجاءت كفلق الصبح، حكى السبكي في طبقاته (٤٢٤/١)، والخطيب البغدادي في تاريخه(١١/٢): أن أحمد بن الفضل البلخي، قال: «ذهبت عينا محمد (يعني: البخاري) في صغره فرأت أمه إبراهيم عليه السلام، فقال: ياهذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة بكائك أو دعائك، فأصبح وقد رد الله عليه بصره».

هيبة العلماء منه:

رزق الإمام البخاري هيبة عظيمة منذ أول حياته فكان شيوخه ومعاصروه يتهيبون الحديث بحضرته، فهذا شيخه الإمام الحافظ علي بن المديني كان إذا حدث والبخاري بحضرته التفت إليه كأنه يهابه.(تاريخ بغداد ١٨/٢)، وكان شيخه محمد بن سلام البيكندي إمام عصره يقول: «كلما دخل علي محمد بن إسماعيل (يعني البخاري) تحيرت ولا أزال خائفا «فعلق الحافظ ابن حجر على هذه المقولة بقوله: «يعني: أن يخطئ بحضرته» (مقدمة فتح الباري ٧٥١).

تلاميذه وشيوخه:

روى عنه خلق كثير، من أشهرهم الإمام مسلم والترمذي والنسائي وإبراهيم بن إسحاق الحربي وأبوبكر بن أبي الدنيا، وعد الذهبي في السير (٣٩٧/١٢) جماعة، ثم قال: «وأمم لا يحصون».

وأما شيوخه: فكما علمت آنفاً أن البخاري قد طوف البلاد وشرق وغرب، فاجتمع له من الأشياخ ما يفوق عددهم الألف، قال وراقه: «سمعته قبل موته بشهر يقول: كتبت عن ألف وثمانين رجلاً، ليس فيهم إلا صاحب حديث».

ولئن كان المقام هنا لايسمح بسرد هذا العدد من شيوخه، فسنقتصر على ذكر شيخ واحد من جل البلاد التي دخلها، فأقول: سمع ببخارى قبل أن يرتحل من محمد بن سلام البيكندي، وبنيسابور من يحيى بن يحيى، وببغداد من محمد بن عيسى، وبالبصرة من أبي عاصم النبيل، وبالكوفة من عبدالله بن موسى، وبمكة من أبي عبدالرحمن المقري، وبالمدينة من عبدالعزيز الأويسي، وبمصر من سعيد بن أبي مريم، وبالشام من أبي اليمان، وسمع بعسقلان وبحمص وبدمشق وببلخ وبغيرها من البلاد، وسمع من آخرين غير من ذكر آنفاً، غير أن أربعة كانوا هم شيوخه الذين كان لهم أثر بالغ في حياته العلمية ونشاطه الحديثي، وكانت صلته بهم متينة، وملازمته لهم طويلة، أولئك الأئمة هم: أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وإسحاق بن راهويه. (ينظر: سير أعلام النبلاء ٣٩٥/١٢ – ٣٩٧، والإمام البخاري ٤٢).

مؤلفاته:

اشتهر هذا الإمام العظيم بجامعه الصحيح الذي عرف (بصحيح البخاري)، وكذا اشتهر له كتاب آخر هو (الأدب المفرد)، ويليهما في الشهرة كتاب (التاريخ)، وربما لوسألت أحداً غيرمتخصص في علم الحديث لعدّ لك فوقها كتابا أو كتابين، ولكن الواقع أن للإمام البخاري نحو أربعة وعشرين مؤلفاً بين كتاب وجزء ورسالة. (سيرة الإمام البخاري ١٦٢-١٧٢).

مكانة الجامع الصحيح:

فأما أعظم مصنفاته، وأشهر مؤلفاته، وأبرك ما خطته يمناه، فهوالجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، الذي نعته الإمام السبكي بأنه «أجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله»(الطبقات ٤٢٤/١).

فهو الكتاب الذي يتلو الكتاب هدى
هذي السيادة طودا ليس ينصدع

وما أحسن قول الجرجاني:

صحيح البخاري لو أنصفوه
لما خط إلا بماء الذهب
هو الفرق بين الهدى والعمى
هو السد دون العنا والعطب
به قام ميزان دين النبي
ودان له العجم بعد العرب

ومدحه ابن حجر العسقلاني بقوله:

وأصح كتبهم على المشهور ما
جمع البخاري قال ذاك المُعْظَم
وتلاه مسلم الذي خضعت له
في الحفظ أعناق الرجال وسلموا
فهما أصح الكتب فيما يحتكى
إلا كتاب الله فهو مقدم

أما عدد أحاديث الجامع الصحيح فقد بلغت سبعة آلاف ومئتين وخمسة وسبعين بالمكرر، (مقدمة فتح الباري ٧٢٨)، اختارها من زهاء ستمائة ألف حديث ، ومكث في تأليفه وتصنيفه ست عشرة سنة، ولم يدخل فيه إلا الحديث الصحيح، وما كان يكتب حديثا حتى يغتسل قبل ذلك ويصلي ركعتين، وصنف مسودته في المسجد الحرام، وبيض تراجمه بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره، قال عبدالقدوس بن همام: «سمعت عدة من المشايخ يقولون حول محمد بن إسماعيل البخاري تراجم جامعه بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين»، وكان يحفظه كله عن ظهر قلب لا يخفى عليه شيئ منه. (تاريخ بغداد ٩/٢-١٤). وكذا صنع في كتاب التاريخ، قال عن نفسه: «صنفت كتاب التاريخ عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة»، (سير أعلام النبلاء

١٢/ ٤٠٠).

قال أبو جعفر العقيلي «لما صنف البخاري كتاب الصحيح عرضه على ابن المديني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين -(وهؤلاء الثلاثة هم شيوخه) وهم آنذاك كبار رجال الحديث- فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث»، قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة. وقال الحاكم: «رحم الله محمد بن إسماعيل الإمام فإنه الذي ألف الأصول وبين للناس، وكل من عمل بعده فإنما أخذه من كتابه». وقال الدار قطني: «لولا البخاري لما راح مسلم ولاجاء». (مقدمة الفتح ٧٦٠).

منهجه في الجامع الصحيح:

لا أشك في أن سبب الصحة العالية في الجامع الصحيح، هو ما سلف من هدي الإمام البخاري ومنهجه الذاتي في كتابة وتصنيف جامعه، وانتقاء أحاديثه واختيارمكان كتابته، وإلزام نفسه المحافظة على الطهارة التامة عند الكتابة، فقد اختار المسجد الحرام مكاناً، وألزم نفسه الاغتسال عند كل حديث، وصلاة ركعتين عند كل حديث أو ترجمة.

وأما السبب الآخر فهو منهجه العلمي الذي سار عليه في تصنيفه للجامع، وشروطه للحديث الذي يضعه في كتابه، يعرف تلك الشروط من سبر كتابه وتتبع منهجه، لأن البخاري نوى شروطه ولم يصرح بها في أي شيء من كتبه، قال الإمام القسطلاني: «اعلم أن البخاري ومسلماً ... لم ينقل عن واحد منهما أنه قال: شرطت أن أخرج في كتابي ما يكون على الشرط الفلاني، وإنما يعرف ذلك من سبر كتبهم». (إرشاد الساري ١/ ٢٠).

وشروطه الضمنية التي استنبطها العلماء لا تخرج عما يأتي:

١- أن يكون جميع رواة الحديث ثقات إلى الصحابي.
٢- أن لا يكون انقطاع في السند.
٣- إن كانت الرواية بالعنعنة فيجب أن يثبت لقاء الراوي بشيخه.
٤- أن يتفق على صحة الحديث المحدثون من قبل الإمام البخاري أو المعاصرون له.
٥- أن يكون خاليا من العلة والشذوذ.

ومع هذه الشروط الخمسة يجب أن يكون الراوي من الطبقة العليا. (ينظر: إرشاد الساري ١/ ٢٠، سيرة الإمام البخاري ١٩٧-١٩٨).

استنباطاته الفقهية في الجامع:

كان من أهم أهداف البخاري في جامعه، هو استنباط المسائل الفقهية، فقد التزم جعل تراجمه لكل باب منبئة عن فقه ذلك الباب، فكان يستنبط من تلك الأحاديث أحكاماً قلما يستنبطها غيره، وما كان يبالي من تكرار المتن، ولكنه لم يكن يكرر المتن والإسناد معاً من كل الوجوه، بل التكرار كان قاصراً على المتن فقط، قال عبد السلام المباركفوري: «وبكثرة الأسانيد المختلفة يرتفع الحديث من الآحاد إلى الشهرة أو التواتر المعنوي، وهذا التكرار يزيده حسناً إلى حسن».

وهو في استنباطه للمسائل يستدل أولاً بالآيات القرآنية، ويراعي التوفيق بين الآية والحديث، قال عبد السلام المباركفوري: «ولما كانت المسائل الفقهية واستنباطها من أهم أغراضه اكتفى في كثير من الأبواب بالإشارة إلى الحديث فيقول فيه: عن فلان، ويشير إلى الحديث الذي سبق ذكره، سواء كان قريباً أو بعيداً وأحياناً يذكر في بعض التراجم متن الحديث فقط، ويحذف السند أو يذكره معلقاً وهناك تراجم وأبواب كثيرة يذكر فيها عدة أحاديث، وأحيانا يكتفي بحديث وأحد، وأحيانا يذكر الآيات القرآنية فقط، وكل هذه الأساليب تدل على أن استنباط المسائل الفقهية من أهم أهداف صحيح البخاري وأغراضه الأساسية». (سيرة الإمام البخاري ١٨٨- ١٨٩).

فهذا هو السر في رفعة شأن هذا الكتاب الذي أصبح أثراً عظيماً من آثار البخاري، وهو الذي خلده وأبقى له لسان صدق حتى يومنا هذا، حيث كان مجالاً خصباً للمحدثين من بعده، فقد مال المحدثون إليه ميلة واحدة، وخدموه خدمات متنوعة: فمنهم من شرحه، ومنهم من علق عليه، ومنهم من اختصره، ومنهم من جمع رجاله، ومنهم من بحث في فقه أبوابه وتراجمه، ومنهم من جرده، ومنهم من استدرك عليه، ومنهم من وصل معلقه، ومنهم من صنع معجما لغريبه. ومنهم من أعرب مشكله، ومنهم من حل غريبه، ومنهم من ألف في شروطه ، إلخ ما هيأ الله تعالى له من خدمة تفوق الحصر، وتجل عن العد وتدعو إلى العجب.

وقد عد عبد السلام المباركفوري في كتابه: (سيرة الإمام البخاري ٢٠٦) مئة وستة وأربعين مؤلفاً، شملت مختلف أنواع ما خدم به الجامع الصحيح، وهذا رقم قل نظيره في خدمة الكتب الأخرى.

وفاته:

كانت حياته كلها علماً وحفظاً وعملاً وارتحالاً وامتحاناً، عانى كثيراً في سبيل العلم وحفظه وتبليغه، وأما موته فكان عن زهد في الحياة ورغبة عنها، قال عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي: «سمعته ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يدعو ويقول: «اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك». (تاريخ بغداد ٢/ ٦، ٣٣).

وهكذا استجاب الله دعاءه، فأكرمه بصيام رمضان وإتمامه، وتوفاه إليه بعد أن صلى عشاء ليلة العيد، سنة ٢٥٦هـ، وعمره اثنتان وستون سنة، ودفن يوم العيد بعد صلاة الظهر، بقرية (خرتنك)، الواقعة على بعد فرسخين من سمرقند.

فرحمة الله على هذا الإمام الذي صدق عليه قول أهل بغداد فيه:

المسلمون بخير ما بقيت لهم
وليس بعدك خير حين تفتقد

مكافحة الإسلام للمخدرات

الطرق الوقائية .. والعلاجية

جابر أحمد نور

أولاً: الطريقة الوقائية:

إن الشريعة الإسلامية كافحت جريمة المخدرات بمنهج متدرج، يجمع بين الوقاية والعلاج في أسلوب ترغيبي وترهيبي، فكل الأسباب الدافعة بالإنسان لتناول المخدرات، قد وضع لها الإسلام التدابير الوقائية التي تمنع وقوعها، فاعتنى بتربية الفرد والأسرة والمجتمع.

والتربية بمنظورها الإسلامي هي: (تنشئة الفرد المسلم في جوانب حياته الجسمية والعقلية والنفسية والسلوكية على هدي الإسلام ومبادئ شريعته ونظرته إلى الكون والإنسان والحياة) [ندوة معالجة الشريعة الإسلامية لمشكلات انحرف الأحداث (ص: ١١)].

فمن الجوانب التربوية التي أولاها الإسلام عناية خاصة لبناء إنسان صالح بعيد كل البعد عن مواطن الزلل وطرق الانحراف:

١- تكوين أسرة متماسكة البنيان، قوية الأركان، بعيدة عن الشقاق والنزاع ويخيم عليها الوفاق، فينشأ الطفل في ظلها نشأة سوية، تحيطه بالرعاية وتصونه عما لا تحمد عقباه.

٢- التنشئة الصالحة للأولاد: وقد جاءت عناية الإسلام شاملة لجميع أطوار حياة الولد، لتقي المجتمع من الشرور الكثيرة، وتجنب الأولاد المفاسد والرذائل وتعاطي المخدرات.

٣- تربية النفس على طاعة الله سبحانه وتعالى: فطاعة الله عز وجل بإتباع أمره واجتناب نهيه تجعل الإنسان دائم الصلة بخالقه، وقافا عند حدوده بفعل مأموراته ويترك منهياته. فإذا عظمت طاعة الله في وجدان الإنسان كمل إيمانه وسلم دينه، فيستسهل الصعب ويقهر النفس في سبيل طاعته سبحانه وتعالى.

٤- غرس القيم الإسلامية وتعميم الوعي بأضرار المخدرات: فغرس القيم الإسلامية والحث على التمسك بالإسلام والتزامه منهج حياة، وبيان موقفه من تعاطي المخدرات، وتفصيل ما ينتج عنها من أضرار ومخاطر تهدد أمن الفرد والأسرة والمجتمع، إن ذلك كله من أبلغ الوسائل المعينة على تقليص هذه المشكلة الخطيرة.

٥- المنع من مجالسة ومخالطة الذين يتعاطون المخدرات: إن رفقة السوء هي من أهم وأخطر الأسباب المؤدية إلى الانحراف،ولذلك عنيت الشريعة الإسلامية عناية خاصة بجليس الإنسان فقال صلى الله عليه وسلم: (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) [أبو داود حديث رقم (٤٨٣٣)، الترمذي (٣٣٧٨)، وقال: حديث حسن غريب.

ويقول الشاعر العربي:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى

٦- الحث على الكسب الحلال ومحاربة البطالة: لقد عالج الإسلام كافة البواعث النفسية والمعوقات العملية، التي تثبط الناس عن العمل والسعي في الرزق والمشي في مناكب الأرض، علاجاً حاسماً يقف المرء معه إجلالاً وإكباراً لهذا المنهج الرائع، الذي بدأت البشرية تتلمسه بعد قرون من التخبط والضياع فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [سورة الملك، الآية: ١٥].

فالمتبع لتعاليم الإسلام لا يجد فراغاً يدفعه إلى ما لا تحمد عقباه من جرائم ومنكرات.

٧- تعميم مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إن تعميم هذا المبدأ، يعني إيجاد رأي عام تتضافر فيه الجهود، وتتحد الكلمة لتحقيق مجتمع فاضل، يكافح الرذيلة ويسعى نحو تحقيق الفضيلة، فبإحياء هذا الأساس نستطيع أن نملك سلاحاً بتاراً يستأصل الانحراف ويطهر المجتمع من أدران الجريمة ويقي المتعاطين عن طريق التأثير فيهم.

هذه هي أهم ملامح مكافحة المخدرات الوقائية في الشريعة الإسلامية.

ثانياً: الطريقة العلاجية:

قد لا تقف التدابير الوقائية التي سبق ذكرها أمام وقوع الجريمة ومنع الانحراف، فلا تثبت جدواها ولا سيما عند أصحاب القلوب المريضة أو النفوس الضعيفة التي أغواها الشيطان، فيقع هذا الإنسان فريسة للمخدرات، تهدده أخطارها وتؤلمه آثارها.

ولعلاج هذا الداء ومنع انتشاره فإن الإسلام يضع الأسلوب العلاجي وذلك عن طريق العبادات والعقوبات فهما وسيلتان فعالتان للقضاء على المخدرات ومنع انتشارها.

ثالثاً: المداواة عن طريق العبادة:

يبرر كثير من متعاطيي المخدرات السبب في إقدامهم على تلك السموم، هو التغلب على ما يعانونه من توتر وقلق وضيق أو فقدان الثقة بالنفس والشعور بعدم الأمان نتيجة لضغوط اجتماعية، أو ظروف اقتصادية، أو مشكلات عائلية (ظاهر تعاطي الحشيش) د. سعد المغربي (ص٦٥٤)، وما علموا أن الإسلام قد جنب نفس المؤمن هذه الأمراض وذلك بالرجوع إلى الله والإنابة إليه فالذي يتعاطى هذه السموم لكي ينسى همومه وأحزانه ومشكلاته، سينساها في بداية الأمر ولكنه سوف يفيق بعد فترة وجيزة ليجد نفسه قد وقع في مشكلات أعظم من المشكلات السابقة فضلاً عن الأضرار البدنية والنفسية (دور الدين في معالجة الإدمان لأحمد العطاوي - ص٥١).

فالعبادة تجعل صاحبها يعيش في جو إيماني بعيد كل البعد عن جو الرذيلة وحب المنكرات، وكلما تمكنت محبة الله من القلب أخرجت محبة من سواه مهما كان هذا المحبوب، ولهذا كانت العبادة من أنفع الأدوية لعلاج كثير من الأمراض والسموم ومنها تعاطي المخدرات.

والعبادة التي نشير إليها هي ما تعنيه هذه اللفظة من الشمول والكمال كما أشار إلى ذلك ابن تيمية في تعريفها:

(العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة) (مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩).

فالعبادات بجملتها دواء من كل داء إذا جاءت من قلب خاشع خاضع لله موقن بالإجابة يقول ابن القيم: (وها هنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء، ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم وأقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله والتوكل عليه والالتجاء إليه والانطراح والانكسار بين يديه والتذلل له والصدقة والدعاء.

فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها وملها فوجدوا لها التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم الأطباء ولا تجربته ولا قياسه (زاد المعاد تحقيق شعيب الأرنؤوط (٤/١١).

- يقول د. بريل: (إن المرء المتدين، حقا لا يعاني قط مرضاً نفسياً).
- ويقول د. ديل كارنجي: (إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي وأن يشفيا هذه الأمراض) (روح الدين الإسلامي لعفيف طبارة (ص:١٧٧).

وبالجملة فإن هناك علاقة بين العبادة وبين تعاطي هذه السموم، فالإنسان إذا عبد الله سبحانه ولاذ في حماه انشرح صدره وزالت همومه، ومن ثم لا يلجأ إلى هذه المخدرات لعلاج هذه الهموم والأحزان ودليل ذلك أن الله سبحانه وتعالى خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم وأمره بالمواظبة على العبادة حتى الممات فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ • فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ • وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [سورة الحجر، الآيات: (٩٧-٩٩).

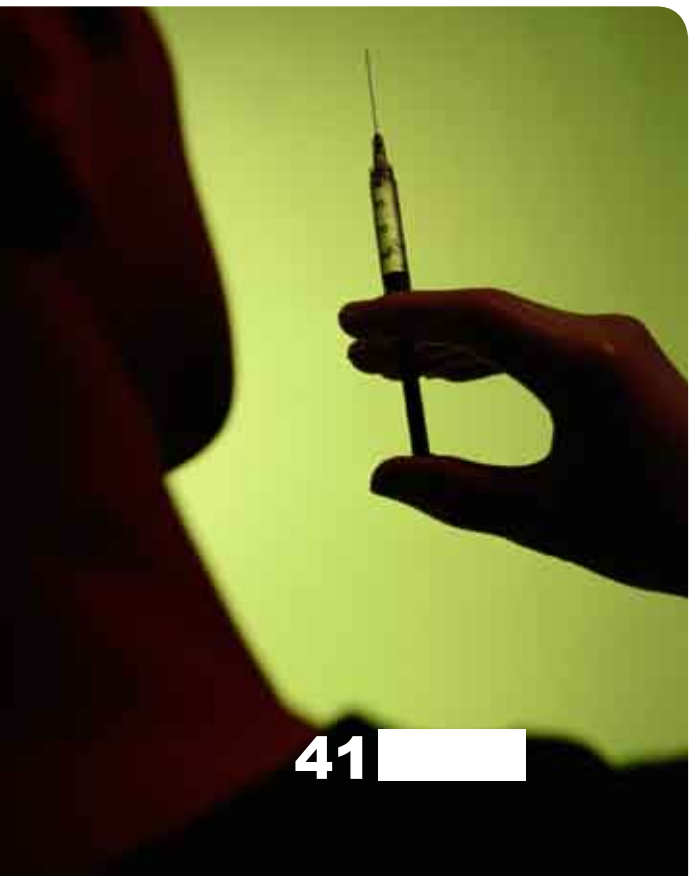

تناول الخمور

بين الأسباب والعلاج

د. خالد سعد النجار
كاتب من مصر

لا شك أن إدمان الخمر يعتبر من أكبر المشكلات التي تواجه المجتمعات، ويبذل في سبيل علاجها الكثير من الأموال والميزانيات. وبسبب تشعب المشلكة وخطورتها، وما يتفرع عنها من مشكلات اجتماعية وأمنية واقتصادية كثيرة، وبسبب اختلاف الثقافات، فقد تنوعت طرق علاجها. وفي بداية الاهتمام بمكافحة الخمور وتعاطيها وإدمانها كان ينظر إليها كما ينظر إلى الجرائيم والميكروبات التي تهاجم الناس وتصيبهم بالمرض، فبدأ الأمر وكأن المتعاطي إنسان لا إرادة له استدرجه تاجر الخمر وأعوانه حتى جعلوه يدمنها، وهذا ليس صحيحا إلا في حالات قليلة للغاية، أما في الغالبية العظمى من الحالات فإن تعاطي الخمر وما تبعه من إدمان كان عملاً واعيا أقدم عليه الشخص عن علم واختيار وبإرادة كاملة لا ينتقص منها أن يكون قد تأثر بعوامل نفسية أو اجتماعية وحتى وقت قريب لم يكن للعلاج الإيماني مكان ضمن عشرات الطرق المطروحة عالميا لمعالجة هذه المشكلة الخطيرة، حتى أثبتت التجربة الإسلامية فاعلية منقطعة النظير في المجتمعات الإسلامية مما جعل القائمين ينظرون إليها بعين الاعتبار والأهمية.

من أسباب إدمان الخمور: ضعف الوازع الديني في النفس البشرية فإنها تقدم على ارتكاب ما نهى الله تعالى عنه بلا خوف أو حياء، وجود الفراغ لدى البعض خاصة الشباب وعدم وجود وسائل الترفيه البريء، الجهل وكثرة المال: فوجود المال بكثرة مع من لا يشكر الله تعالى على نعمة المال من أعظم المهلكات، وإذا وجد المال في يد الإنسان الأحمق الجاهل لنعم الله أهلك وأباد، السفر إلى الخارج وتوفر السيولة النقدية مما له الأثر في سرعة وسهولة الاتصال مع المجتمعات الأخرى والتأثر بعاداتها السيئة، تواجد عناصر أجنبية لها تقاليدها الخاصة التي يتأثر بها ضعاف الشخصية ويقلدونها، ضعف الترابط الأسري وكثرة الخلافات مع أفراد الأسرة فإن المدمن غالباً ما ينحدر من أسرة مضطربة لم تفلح في استخدام أساليب التنشئة الاجتماعية السليمة ويسودها التوتر في العلاقات وعدم الحب والإهمال والتسلط من جانب بعض الأفراد مثل: الأب، الأم، الأخ الكبير. كما تؤدي بعض الأدوار السلبية للأسرة إلى دفع الشباب لتعاطي الخمور مثل عدم فهم الوالدين لمطالب نموهم، والحد من حريتهم، ومصادرة هذه الحرية في أكثر الأمور اتصالاً بهم، كنوع الدراسة أو العمل أو الزواج، الفشل في الدراسة أو العمل أو الزواج أحياناً، الفقر والجوع والحرمان قد يدفع الإنسان إلى التعاطي هرباً من الجوع وقسوة الحياة المعيشية، حب الاستطلاع والتجربة والتقليد

الأعمى للآخرين ومجاملتهم من باب إظهار الرجولة، الاعتقاد الخاطئ لعلاقة الخمور بالجنس، بينما الثابت علمياً أن الخمور لها تأثير سلبي على القدرة الجنسية، الرغبة في زيادة القدرة على السهر والعمل، والثابت أن الخمور تؤدي إلى الضعف والوهن وعدم القدرة على العمل والإنتاج، جليس السوء والصحبة السيئة وهو أخطر الأسباب وأهمها، فقد يكون الشخص مجاملاً أو خجولاً لدرجة أنه يتورط في قبول بعض الأشياء التي يقدمها إليه أصدقاؤه في الحفلات والمناسبات الاجتماعية أو في الزيارات، قلة الوعي: إذ أن معظم متعاطي الخمر متوسطي الذكاء ولديهم نقص في تكوين شخصيتهم، انتشار البطالة: فالإنسان دون عمل عرضة للتأثر بالمغريات أكثر من الإنسان العامل.

وتوجد أسباب أخرى كثيرة تختلف باختلاف الأشخاص وجميعها تسبب معاناة تخلق لدى المدمن الرغبة في قبول الموت التدريجي.

العلاج ونواحيه المتعددة: علاج الإدمان متعدد الأوجه فهو جسمي وعقائدي ونفسي واجتماعي معا، بحيث يتعذر أن يتخلص الشخص من الإدمان إذا اقتصر على علاج الجسم دون النفس أو النفس دون الجسم أو تغاضى عن الدور الذي يقوم به المجتمع في العلاج، فمما ينبغي الإشارة إليه بإيجاز هنا أن السلوك الإنساني ليس فعلا أو أفعالا مفتتة، لكنه منظومة متكاملة من السلوكيات والظروف الفردية والاجتماعية والبيئية. وسواء كان العمل إصلاحيا أو علاجيا أو وقائيا فينبغي له تفهم تعقيد السلوك الإنساني، إن الحديث النبوي الشريف يبين بوضوح منظومة السلوك المرتبط بالخمر. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة، عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له). رواه الترمذي، فشرب الخمر فعل تشترك فيه هذه الفئات العشرة من الناس، بمختلف المراحل من إنتاج وتوزيع واستهلاك.

إن جهود المكافحة أو الوقاية ينبغي أن تكون متكاملة ومتساندة ليس بينها تناقض أو تضارب، بالإضافة إلى الجهود الدولية والوطنية لا بد من العمل على مستوى المجتمع المحلي والأسر والأفراد، فإذا حرمت الخمر فالطرق الموصلة إليها محرمة كذلك. فلا معنى لمحاربة سلوك وفي الوقت نفسه تسهيل كل الطرق الموصلة إليه. ينبغي النظر إلى التعاطي بهذا المنظار السلوكي والبيئي الشامل. والكف عن النظر إليه باعتباره مرضا، والتعامل مع المتعاطي على أنه مريض. من هنا ينبغي إعطاء (علاج) المدمنين مكانه المناسب ليس أكثر، فالعلاج مصطلح طبي يناسب مصطلح (المرض) وتعاطي الخمور ليس مرضا، بالمعنى الجسدي للمرض. بل هو سلوك منحرف، له أضرار نفسية واجتماعية وطبية.

المنهج الرباني هو المنهج العلمي الحقيقي في معالجة ومكافحة الإدمان

لقد وجد أن بناء الحصانة الذاتية والمجتمعية هي أفضل إستراتيجية لمواجهة إدمان الخمور على المستوى بعيد المدى. فينبغي تبني منهجاً تعزيزياً مع الشباب يقوم على بناء وتعزيز قدرات الشباب الفكرية والاجتماعية والسلوكية، وتنمية ثقتهم بأنفسهم، وتبصيرهم بدورهم الاجتماعي العام، وتسهيل سبل الإنجاز والإسهام لهم. ينبغي أن تزداد ثقتنا بالشباب والأطفال، وأن نساعدهم في زيادة ثقتهم بأنفسهم. لا بد من الإسهام في تنشئة جيل قوي واثق من نفسه، يسعى أكثر نحو تحقيق إنجازات إيجابية، وليس مرهوبا أو مسكونا بالخوف، من ارتكاب أخطاء أو التعرض لمخاطر أو الوقوع فريسة أو ضحية لآخرين. فبدلا من أن يرى الشباب الحياة مجموعة من المصائد والمكائد، أو المخاطر والمآزق يراها منظومة من الفرص والتحديات والعتبات التي يتجاوزها ويكتسب في كل خطوة قوة أكثر واعتزازا أكثر واندفاعاً أسرع نحو آفاق أعلى من الإنجاز.

وفي منظومة المكافحة الشاملة للخمور ينبغي أن يكون للأسرة دور فاعل ومعتبر. فالأسرة تمثل خط الدفاع والحصانة الاجتماعية الأولى والأبرز. لهذا تكون جهود المقاومة أو المكافحة ناقصة وعرضة

للفشل إن لم تكن الأسرة واحدة من أركان هذه الجهود، فطبيعة السلوك داخل الأسر وخاصة سلوك الوالدين له تأثير كبير على بقية أفراد الأسرة. وأول ما ينبغي تأكيده هنا هو القدوة والمثال الذي يمثله الوالدان لا بد أن يكونا القدوة في السلوك قولا وفعلا.. فأول حصن للوقاية هو القدوة الحسنة الصالحة من قبل الوالدين وبقية أفراد الأسرة.

أيضا طبيعة ممارسات الوالدين لها أثرها على ذلك السلوك. فقد لا يحسن الوالدان تربية الأبناء، أو يتصف أسلوب معاملاتهم بالقسوة أو العنف أو التسيب والتدليل. أو قد يتسم جو الأسرة بالشحناء والتباغض، والقول السيئ. إن الإيذاء اللفظي بالسب أو اللعن أو الإهانة أو وصف الأطفال بصفات مكروهة في هذا قتل لنفسياتهم وشخصياتهم. وما ينبغي الإشارة إليه هنا هو أهمية توعية الوالدين وتبصيرهم وتدريبهم على مهارات الأبوة والأمومة، وحسن التعامل مع أبنائهم، خاصة مع الأطفال في سن النماء والتنشئة والتغيرات الجسدية والعاطفية. (مرحلة المراهقة) حيث إن سوء معاملة الأسرة قد يدفع الأبناء إلى مصادر التوجيه والاهتمام خارج الأسرة، حيث رفاق السوء وقناصو الانحراف.

والمنهج الرباني في علاج مجتمع المسلمين الأول من هذا الداء هو المنهج العلمي الحقيقي الذي يستخدم اليوم في علاج الإدمان بصورة عامة -وعلاج إدمان الكحوليات بصورة خاصة- وهو يعتمد على تغيير طبيعة حياة المدمن كلها بصورة شاملة، وليس امتناعه عن تعاطي الكحول أو المادة المخدرة فقط؛ حيث نؤمن أن الإدمان هو (نمط حياة)، لذا فإن الإقلاع عنه لن يتم إلا بتغيير نمط حياة الإنسان وطريقة تفكيره، ونظرته للأمور وتعامله مع مشكلاته وكل أمور حياته، بدون ذلك لا يمكن الإقلاع عن المادة المخدرة أو الكحول، لأن تعاطي المادة المخدرة بما فيها الكحول إنما هو ذروة التعبير عن منهج حياة يعتمد على الهروب من مواجهة المشكلات، وتغيب العقل في مواجهتها بدلاً من إحضاره.. إذا أدرك المدمن ذلك تكونت له الإرادة الحقيقية في الإقلاع عن الكحول والمخدرات، ليس لأضرارها فقط، ولكن لأنها تعوقه عن أن يكون إنساناً سوياً كما ارتضاه الله عز وجل صاحب عقل يقظ هو مناط التكليف، بحيث يتعجب من نفسه وهو يغيب عقله، تلك النعمة التي كرمه الله تعالى بها على كل المخلوقات. والإسلام فقط هو بكل بساطة، المؤهل الوحيد لقطع دابر هذا الوباء فهو يحرم تعاطي الخمر (والخمر هي كل مسكر) لذا يدعو القرآن الكريم المؤمنين جميعاً لاجتنابها لأنه رجس وإذا أراد المؤمن والأمة فلاحاً فعليهم باجتناب هذا الرجس قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ [سورة المائدة، الآية: ٩٠] وفي الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم: «كل مسكر خمر... وكل خمر حرام» رواه مسلم، لهذا فإن عقيدة الإسلام هي السد المنيع أمام طوفان الخمر وأضراره، فهي وحدها المنجية من عذاب الدنيا والآخرة.

علاج الإدمان متعدد الأوجه فهو جسمي وعقائدي ونفسي واجتماعي معا

لا يوجد أي أصل علمي أو شرعي لاستحالة علاج الإدمان أو عدم القدرة على التخلص منه

إذا توافرت هذه الإرادة في الإقلاع عن الكحول والمخدرات في إطار هذا التغيير الشامل لطريقة الحياة والنظر إليها، وكل ما يحدث -نأمل سواء من دخول لمصحة أو مستشفى لعلاج الأعراض الانسحابية أو الحصول على الدعم النفسي من أجل القدرة على العودة إلى الحياة الطبيعية- يتحول إلى مسألة وقت يحتاجه الفرد حتى يتخلص تماماً من هذه العادة السيئة.. ولا يوجد أي أصل علمي أو شرعي لاستحالة علاج الإدمان أو عدم القدرة على التخلص منه، ولكنه الفشل في فهم المشكلة والتعامل مع الأعراض دون التعامل مع المشكلة الأصلية وأسبابها الحقيقية. ذلك هو سبب تفاقمها والفشل في علاجها.

أما عن العلاج الطبي فيمثل هذا الجانب البعد الطبي للمشكلة، وهو يهتم بإزالة سمية الخمور من جسد المتعاطي. ومعالجة الأعراض الإنسحابية الجسدية والسلوكية التي تنتج عن ذلك، بالإضافة للعقاقير الطبية فلقد أثبت الطب البديل فاعلية في كبح جماح المشكلة، فوجد أن للعسل تأثيرا متميزا لعلاج مدمني الخمر وذلك في مستشفى (انكون للأمراض العصبية والنفسية ببريطانيا)، حيث أعطي للمرضى محلول العسل بنسبة ٤٠٪ في ماء دافئ، وقد يرجع تأثير هذا المحلول إلى وقايته للكبد وتنشيطه للقلب أو يعود إلى الهدم الكيميائي للكحول بفعل سكر الفركتوز أو إلى تأثير مجموعة فيتامين ب التي تؤكد بقايا الكحول الموجودة في الجسم.

من حوارات المحبة

للشاعر: يس قطب الفيل

ينـأون عنك أنا بالحب أقترب ... وعن حياضك -يوماً- لست أنقلب
ترى أتخذلني الدنيا وأنت سناً ... يمتد لي، وله ما عشتُ أرتقب؟
ومَنْ أكون إذا أعرضت منكفئاً ... عمن أراد لي التقوى كما تجب؟
سبحانه هيأ الأسباب فاعتدلت ... مطية بي تردت مالها سبب
وهيأ النفس للإبحار في ملأ ... من الكمال له الأشواق تنجذب
سبحانه قال: تب فاستنفرت ثقتي ... إلى المتاب فيوضٌ أمرها عجب
وقفت وقفة صدق واستدرت خطىً ... أنا الذي بيقيني كم هوت كرب
أرادني للهدى ربي فغادرني ... شكٌ بغيضٌ به في الأرض أغترب
ودار بي مشرق الآمال فارتفعت ... روحٌ أحاط بها في رحلتي لهب
ترى أينفر إحساسي ويبعدني ... عما أريد هوىً في الأرض يضطرب؟
سبحانك الله قلبي لم يزل وجلا ... مما يراه وما في الغيب يحتجب
قومي أضر بهم جهلٌ وطاردهم ... شيطانهم واستحت من جهلهم حقب
فمن ترى أصطفى من أدبروا سفها ... واجتاحهم في مدارات الهوى صخب
أم أصطفى من تمادوا رغم أنهموا ... يستمطرون من الوهاب ما يهب؟!
يارب أنت ملاذ للذين سعوا ... إليك يدفعهم للملتقى طرب
ما بين أقدامهم أفْسحْ لمعترف ... بالذنب ساحاً فقد أودى به العطب
جَمِّل نهاياتِ عُمْرٍ فَرَّ ملتمساً ... هداك واحفظه إنْ دارت به ريب
أنت الذي إن تشأ أعليت هامته ... إلى ذرى لم تطأها قبله.. رتب
يارب إن كؤوس الحب تسكرني ... بعد المتاب وخطوي منك يقترب
فهل يجوز ابتعادي عنك معذرة ... أنا الذي عنك يوماً لست انقلب؟
الحب يارب للعلياء يرفعني ... مؤملا أن أرى ما عشت أرتقب
فإن تجاوزت فيما لست أملكه ... أو ارتفعت بقدري فوق ما يجب
فالأمر أمرك إن تغفر فمكرمة ... وإن تعاقب فعذري أنه طلب

حضارات

حضارة الإسلام.. في حوض المتوسط

صقلية.. الحاكم نورماني والحضارة إسلامية

د. أحمد الصاوي
كاتب من مصر

عندما استولى الكونت روجر الأول على باليرمو، وعد أهلها من المسلمين بأن لا يؤذيهم بشيء وألا يحملهم على ترك دينهم أو تعطيل شعائرهم الدينية، وقد بر الملك النورماندي بوعده حسب شهادة العالم الجغرافي الإدريسي، الذي يقول في كتابه: (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، إنه لما صار أمر صقلية إلى روجر واستقر بها سرير ملكه نشر سيرة العدل في أهلها وأقرهم على أديانهم وشرائعهم وأمنهم في أنفسهم وأموالهم وأهليهم وذراريهم. ثم أقام على ذلك مدة حياته إلى أن وافاه الأجل المحتوم وتقضاه يومه المعلوم.

والحقيقة أن (روجر) وجد في مسلمي صقلية خير عون له في مواجهة خصومه من الإقطاعيين النورمانديين، ومما تذكره المصادر المسيحية أنه لما ذهب إلى ناحية نابولي في إيطاليا الوسطى لضرب الحصار على مدينة (كابوا) استصحب جيشا إسلاميا، فجاء الأسقف انسلموا الكنتربري لمقابلته وزار معسكره ولاقى من الجنود المسلمين احتفاء وإكراما حملاه على الظن بأنهم مائلون إلى دين المسيح عليه السلام ومستعدون لاعتناقه لأول إشارة من قائدهم فسأل حاشية روجر: لماذا لم يأمرهم الكونت بالتنصر؟ فكان جوابهم بصوت واحد: (لا تقل هكذا، بل منع روجر المسلمين أشد المنع عن ترك دينهم).

هكذا أصبحت صقلية في عهد أول حكام النورمان مملكة نصف إسلامية في دينها وفي نظامها الإداري والعسكري، فقد كان للمسلمين قضاؤهم الخاص، ولقراهم رؤساء يلقبون بالقادة، وكان من المألوف أن تنطلق الأصوات بالأذان من المساجد ويخرج المسلمون في حرية تامة ليس فقط لأداء الصلوات بل وللاحتفال علنا بأعيادهم الدينية.

ويكفي للدلالة على عمق الطابع الإسلامي للإدارة في الجزيرة أن نشير إلى أن الدائرة الحكومية المشرفة على تقويم الأملاك يقال لها رسميا حتى في الصكوك المحررة باليونانية أو اللاتينية (ديون) وكانت السجلات المقيدة فيها أسماء أصحاب الأملاك تسمى defetayi اشتقاقا من لفظ (دفتر) ومن أصناف الضرائب التي كان تحصل في عهد (روجر) ضريبة Rahba أي الرحبة بمعني ضريبة السوق و cangemj وهي محرفة من حجام لأنها الضريبة المفروضة على الحجامين الذين كانوا في الوقت نفسه حلاقين.

ومما له مغزاه أن النقود التي ضربها (روجر) النورماندي في صقلية قد احتوت على علامة الصليب إلى جانب اسم الحاكم بالحروف اللاتينية أما تاريخ ضرب النقود فقد سجل باللغة العربية وبالتقويم الهجري إلى جانب الاقتباس القرآني من [سورة الصف، الآية: ٩ (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون).

لم تختلف سياسة روجر الثاني في شيء عن سياسة والده بل إنه تمادى في الاعتماد على المسلمين فكان له جيش إسلامي يرافقه في كل غزواته وجعل لمملكته ظلا إسلاميا بالاستيلاء على طرابلس الغرب (١١٤٣م) وبسط نفوذه إلى تونس بواسطة اتفاق تجاري أبرمه مع صاحب المهدية.

كان روجر الثاني علمانيا بمعنى الكلمة، فلم يفرق بين رعاياه من المسلمين والنصارى، بل بنى ملكه على المساواة والعدل، وأهم من ذلك أنه عرف قيمة الحضارة الإسلامية في جهاتها المادية والعقلية واستفاد منها للبناء في عصر كان فيه التخريب يرافق كل استيلاء.

فقد أبقى روجر على النظام الإداري، المتقن الذي تركه الولاة من الأغالبة والكلبيين، واستكمله بإزالة أسباب الفوضى، وقلد العرب المناصب العالية واتخذ ديوانا للتحرير العربي ووقع الأوراق الصادرة من هذا الديوان بعلامة عربية نصها (الحمد لله وشكرا لنعمه)، وحاكى ملوك المسلمين في أزيائهم وشاراتهم على قدر ما حاكى قياصرة بيزنطة وأباطرة الفرنج.

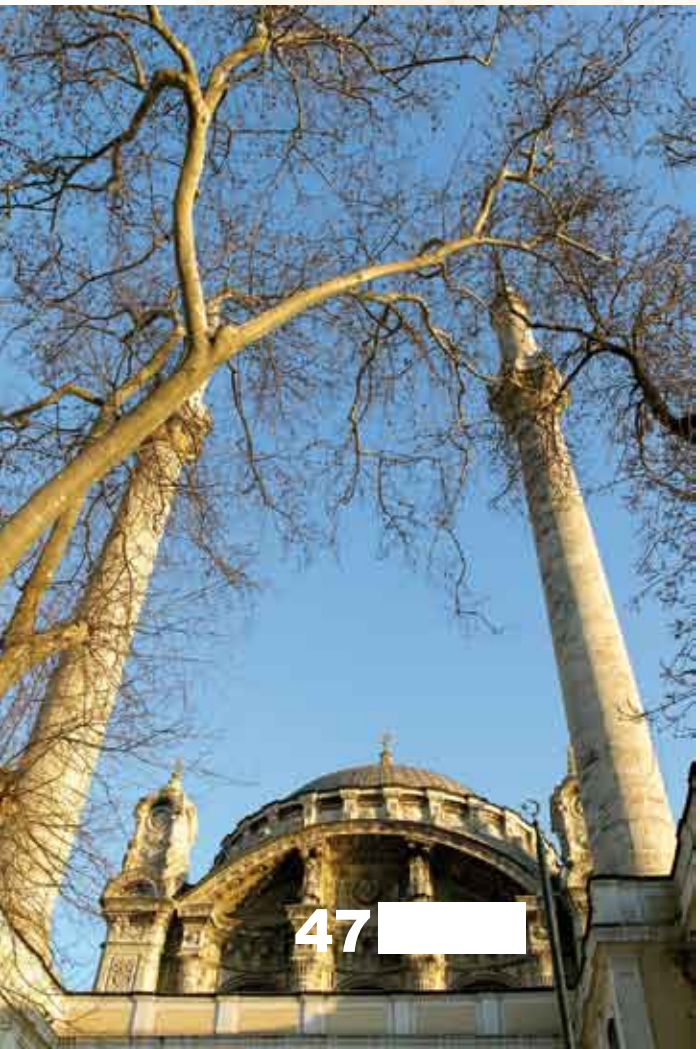

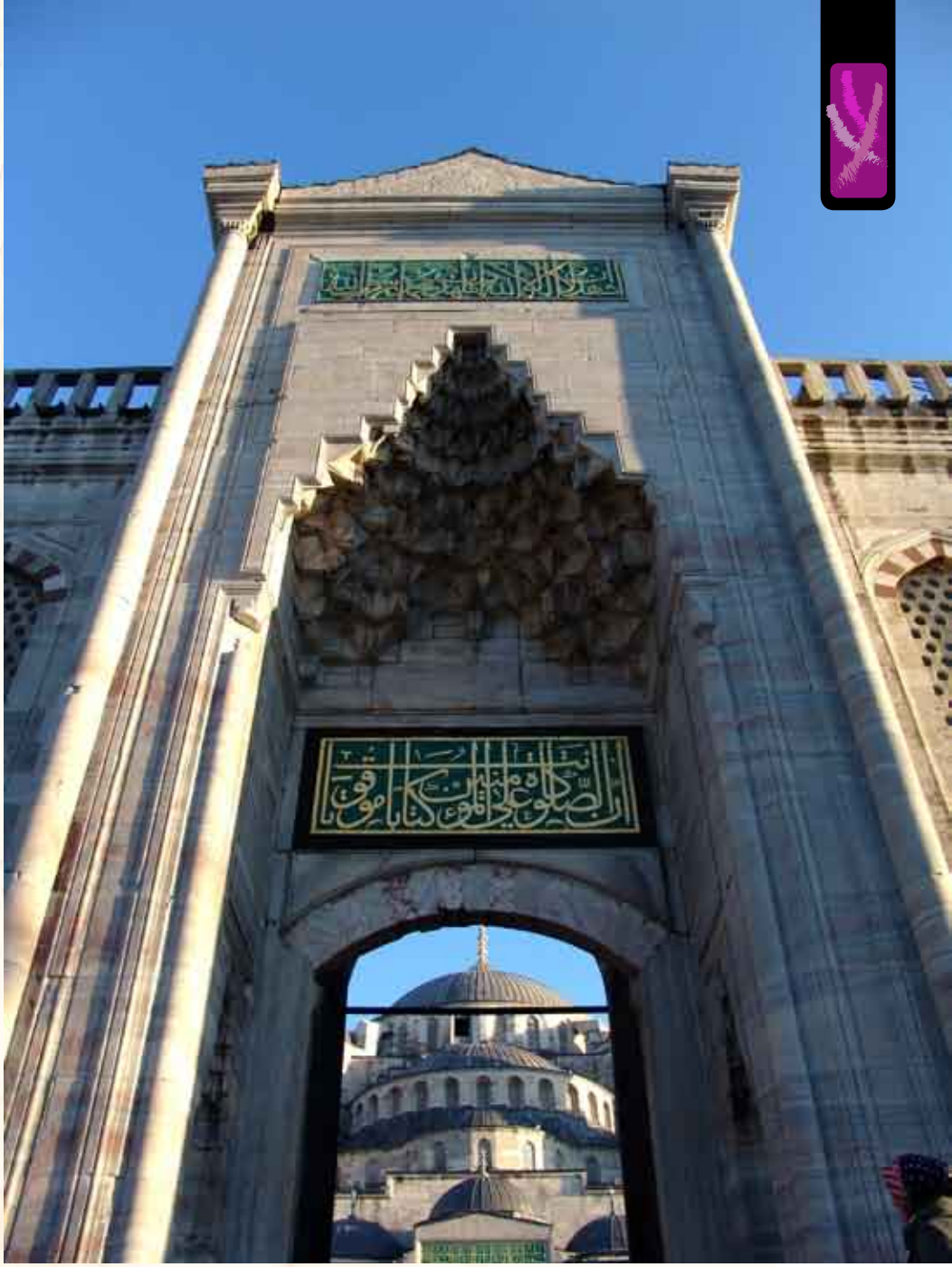

في باليرمو، استخدم المهندسين وعرفاء البناء المسلمين فجاء الدير أشبه بمسجد إسلامي منه بدير مسيحي.

وشجع روجر الشعراء العرب فقصدوا بلاطه ومدحوه بالقصائد، وهو الذي أوحى للعالم الجغرافي (الإدريسي) أن يؤلف كتابه عن جغرافية العالم المعروف بكتاب روجر. وبالجملة فقد كان روجر الثاني سلطانا عربيا متوجا لا معمما. أي أنه يحمل تاجا كملوك الأفرنج.

ولكن وفاة روجر الثاني حملت ابنه (غليام الأول) إلى العرش ورغم محاولاته لحماية المسلمين حتى إن نساء باليرمو المسلمات شيعن نعشه يوم مات بدموع صادقة، إلا أن الأطماع الإقطاعية في أراضي المسلمين سرعان ما أشعلت نيران الفتنة بين سكان الجزيرة.

وحاول خلفه غليام الثاني أن يحفظ للمملكة رعاياها من المسلمين، أصحاب المهارات والكفاءات، فكان يحفظ الشعر العربي ويتلذذ بسماعه بل ويدخل الأشكال المعمارية العربية في مبانيه.

وقد أتيحت للرحالة الأندلسي ابن جبير فرصة زيارة صقلية في عهد هذا الملك عندما جنحت مركب الحجاج التي كانت في طريق عودتها إلى الأندلس واضطر ركابها بمن فيهم ابن جبير، إلى الالتجاء لشاطئ الجزيرة. وقد سجل عن غليام الثاني أنه دفع بنفسه المال الذي يتيح للحجاج الصعود إلى الميناء، ووصف أحواله قائلاً: (وشأن ملكهم هذا عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين). وهو كثير الثقة بالمسلمين وساكن إليهم في أحوالهم والمهم من أشغاله حتى أن الناظر في مطبخه رجل من المسلمين، وله جملة من العبيد السود المسلمين وعليهم قائد منهم ووزراؤه وحجابه الفتيان أكثرهم من المسلمين (بما فيهم الفتى الذي صاحب ابن جبير وهو عبد المسيح) وهو يتشبه في

ومن الرسوم الإسلامية التي حرص عليها (روجر الثاني) تلقبه ألقاب الخلفاء المسلمين إذ سمى نفسه (المعز بالله)، ولأن من شارات الملك في الإسلام اتخاذ (الطراز) أي دار المنسوجات العامة التي تسجل أسماء الخلفاء في الخلع الرسمية، فقد أصبح لروجر دار طراز خاصة ومن أشهر ما أخرجته عباءة تتويج هذا الملك التي تضم رسما لنحلة على جانبيها صورة لأسد يفترس جملا وفي هامشها اسم روجر وألقابه والسنة الهجرية (٥٢٨هـ) مكتوبة كلها بحروف كوفية.

وعندما أراد (روجر) أن يشيد دير القديس يوحنا شفيع النساك

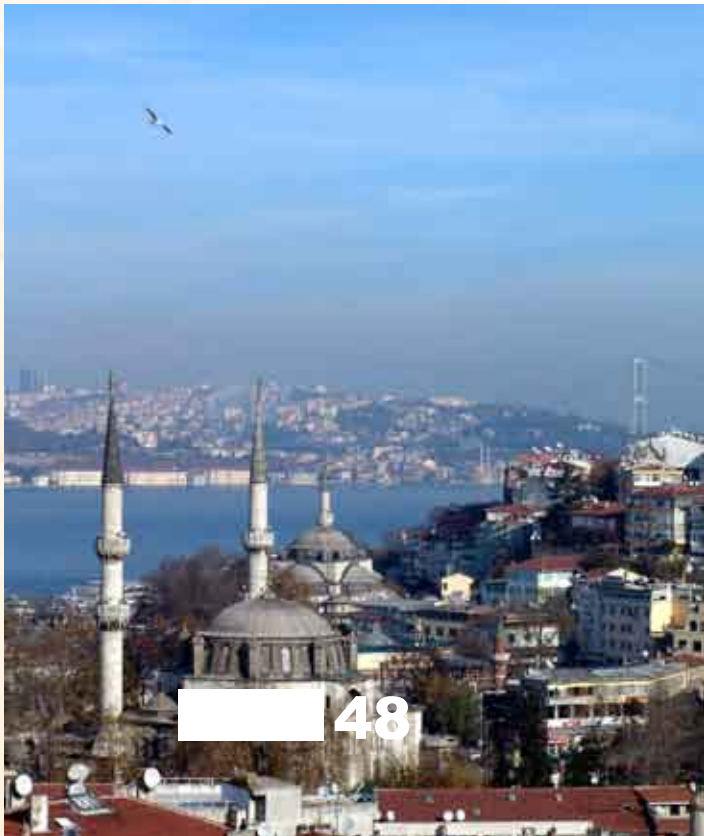

الانغماس في نعيم الملك وترتيب قوانينه ووضع أساليبه وتقسيم مراتب رجاله بملوك المسلمين، ومن عجب شأنه المتحدث به أنه يقرأ ويكتب بالعربية وعلامته (الحمد لله حق حمده) وكانت علامة أبيه (الحمد لله وشكرا لنعمه).

وكانت سياسة غليام الثاني آخر عهد للمسلمين بالتسامح إذ رافق جلوس تنكريدي على العرش نشوب النزاعات بين المسلمين والمسيحيين فغادر المسلمون العاصمة باليرمو واعتصموا بالجبال محاولين استعادة ملكهم المفقود في الجزيرة، وذلك تحت قيادة ابن عبادة ولكن الملك فريدريك الثاني، زحف عليهم وأنزل بهم الضربة الأخيرة وقتل ابن عبادة شنقا ونفى معظمهم إلى مدينة (لوجارة) في أبوليا ثم بدد بقاياهم في السنين التالية، ونفى البقية الباقية الأخيرة إلى لوجارة في البر الإيطالي حوالي سنة ١٢٤٩م.

بيد أن جلاء المسلمين النهائي عن صقلية لم يضع نهاية لحضارة الإسلام في صقلية، ذلك أن فردريك الثاني كان متأثرا بالثقافة العربية ويكفي أن معلميه نيقولا الترنيتي ويوحنا التراتي، كانا يجمعان بين ثلاث ثقافات هي: اليونانية واللاتينية والعربية، أما فيلسوفه الرسمي (ميشال اسكوتوس) فكان بحق ممثل الثقافة الأسبانية العربية، إذ ترجم له عن العربية كتاب (الحيوان) وعدة كتب أخرى، كما عمل عدد من المترجمين اليهود في خدمة بلاط فردريك الثاني، وبحكم ثقافتهم العربية نقلوا إليه عدة كتب عن العربية، فقد ترجم له (موسى البلرمي) كتاب البيطرة من العربية إلى الإيطالية، ونقل له يعقوب أبي ماري شروح ابن رشد على كتب سقراط.

ومن المثير للدهشة أن فردريك الثاني الذي قام بتهجير المسلمين من صقلية إلى لوجارة، اختار أن يسكن في هذه المدينة محفوفا بمسلمي صقلية المنفيين ومتخذا إياهم حرسا أمينا، وراح تحت تأثير العيش معهم يقلد ملوك العرب في أزيائهم وفي الصيد بالبيزان.. بل وفي التسري أيضا، وبالجملة كان لهذا الملك فضل عظيم في نشر الثقافة العربية في أوروبا.

والذي لا شك فيه أن الوجود العربي في صقلية قد منح هذه الجزيرة - فضلا عن شبه القارة الإيطالية المجاورة فضل السبق بين الأوروبيين في مدارج الحضارة فرارا من ظلام العصور الوسطى، فعلى الرغم من أن العرب الذين جاءوا إلى الجزيرة كانوا جنودا لا يعرفون الاشتغال بالعلوم والآداب والمهن والحرف المختلفة، إلا أن استقرارهم وتحضرهم حمل معه حركة علمية وأدبية مزدهرة ظلت ترفد المملكة النرمندية قرابة قرن ونصف القرن من الزمان.

ومما أداه المسلمون للزراعة في صقلية خدمات لا تنسى، عندما جلبوا إلى الجزيرة البربر وهم فلاحون ناشطون، وبعض المشارقة ممن خبروا طرق الري والحرث في بلاد النهرين، فضلا عن إدخال نباتات لم تكن معروفة في صقلية من قبل مثل القطن الذي استمرت زراعته وتصدير منسوجاته من الأنشطة الرئيسية في صقلية حتى أوائل القرن الخامس عشر الميلادي. كذلك أكثر الصقليون أثناء الحكم العربي من غرس التوت وتربية دود القز فوجدت منسوجاتهم الحريرية قبولا عظيما في كل الأسواق، كما أنهم تلقوا من العرب (البطيخ) الذي صار اسمه في

الدراجة الإيطالية pasteccq كما يقال لزهره zagara.

أما المباني التي خلفها ملوك النورمان في صقلية فهي خير شاهد على الأثر العميق الذي تركته حضارة الإسلام على الفن والمعمار في هذا البلد الأوروبي، وعلى واحدة من غرائب التاريخ مجسدة في أن الفن العربي الصقلي لم يبلغ أوجه إلا بعد انقراض سيطرة العرب على الجزيرة. ومن ضمنها القبة الصغيرة القائمة وسط بساتين باليرمو والتي يسميها الصقليون coablQ تصغيرا للفظ (قبة) فهي عربية في كل أجزائها رغم أن بانيها هو روجر الثاني.

وفي باليرمو قصر شيده (غليام الثاني) وسجل اسمه عليه بالحروف العربية وهو يعرف إلى اليوم في العاصمة الصقلية باسم القبة (lacaba) وهو شبيه بقصور أمراء شمال أفريقيا. وقد أكمل هذا الملك قصرا بدأ سلفه في تشييده وهو المعروف باسم laziza تحريفا للعزيزة (كان اسمها القصر الدار العزيزة) ورغم أن هيئته الخارجية قد تغيرت بعض الشيء بسبب ترميمات أجريت في العام ١٦٣٦م، لكن الملامح العربية تبدو واضحة في بهوه الكبير بنقوشه العربية وبالبركة الصغيرة المرمرية التي كان الماء ينساب إليها.

والحقيقة أن (روجر) وجد في مسلمي صقلية خير عون له في مواجهة خصومه من الإقطاعيين النورمانديين

وكان روجر الثاني قد شيد لنفسه قصرا تشير الأوصاف التاريخية إلى أنه كان محض تقليد للقصور الأندلسية الشهيرة، إذ كان يوجد به (شاذروان) ذو أسد على غرار شاذروان (قصر الحمراء) في غرناطة. وقد وصف الشاعر الصقلي (البشيري) هذا القصر قائلا:

وقصور منصورية
حط السرور بها المطية
اعجب بمنزلها الذي
قد أكمل الرحمن ريه
والملعب الزاهي على
كل المباني الهندسية
ورياضه الأنف التي
عادت بها الدنيا زهية
وأسود شاذروانة
تهمي مياها كوثرية

وحتى كنيسة (البلاط) التي ألحقها روجر الثاني بقصره، والمعروفة باسم (الكابلا البلاطية) (كابلا بلاتينا) جاءت رسومها الآدمية وزخارفها المؤلفة من رسوم الأرابيسك وأيضا مناظر ما بها من طيور وحيوانات ناطقة بالتأثير العربي ولما لا وقد كان المعماريون والمزخرفون كلهم من المسلمين.

ويظهر النفوذ المعماري الإسلامي أيضا في دير (يوحنا شفيع النساك) الذي شيده روجر الثاني، وفي كنيسة سان (كاتالدو) بقبابها الثلاثة الحمراء وفي كنيسة مترئالي التي اتخذ برج الجرس فيها هيئة صوانع الأذان المغربية.

غياهب الذات

خليفة الزعابي
مدير مركز الخليفة للتدريب

هناك أسئلة يطرحها المرء على نفسه في أوقات أو مراحل مختلفة من حياته: من أنا؟ وما هو هدفي في الحياة؟ لماذا يبدو بعض الناس وكأن حياتهم أسهل من الآخرين؟ أين أقف وإلى أين سأذهب؟

حيث خلق الله الإنسان بجهاز عظيم يستطيع به أن يدرك صور المعارف ويفهم كثيراً من حقائق الأشياء ودقائق المعاني المجردة، وبهذا جعله مسؤولا عن التفكير في الدلائل الموصلة للحقائق الكاشفة للخير والشر في الحياة الدنيا والحياة الآخرة ومسؤولاً عن عقل النفس عن الانزلاق وراء أهوائها ونزعاتها التي تتجه به إلى ما فيه شره أو خيره.

أعلم أنك حيثما تولد تكون صفحة بيضاء ناصعة من أية معلومات أو مدركات ومنذ ولادتنا تبدأ المعلومات بالإنسياب ويبدأ ذهنك بتسجيل ما يرد إليه من مدركات وتنتقل هذه المدركات إلى ذهنك بثلاثة طرق:

أولها:

حواسك الخمس الظاهرة.

ثانيها:

مشاعرنا الوجدانية الداخلية.

ثالثها:

ما ينقل إلينا من أخبار.

هذا ماتجيب عليه البرمجة اللغوية العصبية ومسائل أخرى كثيرة ناتجة عن عملياتنا الذهنية نتيجة ما نصادفه من مواقف في حياتنا اليومية تساؤلات كثيرة تنتج لنزع الاختلاف بين إدراك الإنسان للمواقف وبين ضميره حيث تعلمنا البرمجة أن بعض الظن إثم و ليس كل مانكونه من افكار عن المواقف الحياتية اليومية صحيحة.

وفي قصة قد تكون قرأتها من قبل ولكننا سننظر إليها من جانب آخر استمع إلي، هناك رجل جلس في صالة انتظار المطار يحتسي القهوة وهو ينتظر إعلان المذيع الداخلي الاستعداد للاقلاع، وأخذ يُقلب طرفه في الناس دون أن يشعروا! وفي هذه جاء رجل وجلس في الجهة المقابلة له تماماً ... وبعد دقائق جاءت امرأة عجوز وجلست بجانب ذلك الرجل .. وضعت أكياساً كانت تحملها وذهبت إلى دكان صغير لبيع الحلوى .. اشترت لها كيساً من الحلوى ..يبدو أنها حلوى لصغارها الأحفاد !

عادت إلى مقعدها ووضعت الكيس بجانبه، فجأة دس الرجل الذي بجانبها يده في الكيس وأخذ له قطعة من الحلوى وأكلها بسرعة.. وابتسم نظرت إليه العجوز نظرة استنكار وكذلك صاحبنا استنكر فعلته تلك.. بعد دقائق دس يده في الكيس مرة أخرى وأخذ قطعة جديدة وأكلها وهو يبتسم مرة أخرى!! غضبت العجوز وقطبت حاجبيها ضيقاً، وعلى الجهة المقابلة غضب صاحبنا أكثر وارتفع لديه منسوب الغيرة والحمية أكثر، لكن كل هذا لم يمنع الرجل غريب الأطوار من أن يدس يده وبحركة ماكرة وسريعة في الكيس ليأخذ قطعة جديدة غضبت العجوز أكثر وحملت كيسها ووضعته في حضنها تظنه الملاذ الوحيد بعد ملاذ الحياء التي أيقنت أنه نضب في قلب هذا الرجل الغريب، على الجهة المقابلة غضب صاحبنا أرعد وأزبد في نفسه وقال محدثاً نفسه: يا له من قليل أدب.... ألم يجد إلا عجوزاً مسكينة يستخف عليها دمه الثقيل ووقاحته!! لكن هذا كله لم يمنع الرجل الغريب من أن يدس يده بجرأة ومكر وسرعة خاطفة ليأخذ مجموعة أخرى من الحلوى ويأكلها بفرح ومرح وابتسام، هنا غضبت العجوز وهم صاحبنا على الجهة المقابلة بالذهاب إلى هذا الرجل وتلقينه درساً ولو اضطر إلى ضربه.. فمثله يستحق أكثر من ذلك، لكن كان للمذيع الداخلي رأي آخر حين نادى على ركاب طائرة صاحبنا بالتوجه إلى باب الطائرة.

جلس على مقعده في الطائرة وهو يفكر في الرجل الغريب والعجوز المسكينة وفجأة! رأى الرجل الغريب، كان المقعد الذي بجانب صاحبنا فارغاً، فأقسم أنه لن يسمح لهذا التافه في أن يجلس بجانبه ولو كان الثمن ما كان، كان الرجل الغريب يبتسم تلك الابتسامة إياها وكأنه يريد أن يغيظ صاحبنا الذي نظر إليه وقال لنفسه: كم أتمنى لو أغير معالم فمه بقبضتي حتى لا تعود إلى وجهه هذه الابتسامة الكريهة مر الرجل الغريب من أمام صاحبنا وجلس على المقعد الذي خلف صاحبنا تماماً حينها فقط تنفس صاحبنا الصعداء، فجأة رأى صاحبنا المرآة العجوز آتية باتجاهه وجلست بالقرب منه وأخذت العجوز ترتب أكياسها وفجأة صرخت قائلة: يا الله، قال صاحبنا: ما بك؟ فردت عليه: أني أرى كيساً جديداً معي يبدو أنه للرجل الذي كنت أجلس بجانبه لقد كان مملوءاً بالحلوى فظننته كيسي وطفقت آخذ منه وكيسي ها هو على حاله .. فهم صاحبنا الذي جرى لقد كان الكيس لذلك الرجل ومنعه حياؤه وطيبته أن يأخذه من العجوز التي ظنته كيسها هنا استرجع صاحبنا كل ذلك فقام من مكانه والتفت إلى الرجل الغريب خلفه وصافحه قائلاً له: أنت رجل رائع جداً.

آداب إسلامية
آداب الإسلام في اللباس

د. زكريا أحمد محمد نور
كاتب من مصر

المسلم يرى أن اللباس قد أمر الله تعالى به في قوله تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ [سورة الأعراف، الآية:٣١] وقوله تعالى: ﴿يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سؤاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٦] وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر به في قوله: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة»، كما قد بين صلى الله عليه وسلم ما يجوز منه وما لا يجوز وما يستحب لبسه وما يكره فلهذا كان على المسلم أن يلتزم في لباسه بالآداب التالية:

- من الآداب الإسلامية في اللباس أن لا يلبس الرجل المسلم الحرير مطلقاً سواء كان في ثوب أو عمامة أو غيرهما لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» (متفق عليه) وقوله وقد أخذ حريراً فجعله في يمينه وذهباً فجعله في شماله: «إن هذين حرام على ذكور أمتي» (متفق عليه). و«حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لنسائهم» (متفق عليه).
- ومن الآداب الإسلامية في اللباس أيضاً أن لا يطيل الإنسان المسلم ثوبه سواء كان هذا الثوب رخيصاً أو غالياً وذلك لا يتجاوز كعبيه لقول الرسول – صلى الله عليه وسلم: «ما أسفل الكعبين من الإزار في النار» وقوله: والأسبال في الإزار والقميص والعمامة «من جر شيئاً خيلاء لم ينظر إليه يوم القيامة وقوله: «لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء» (رواه أبوداود بإسناد حسن) وأن يؤثر لباس الأبيض على غيره وأن يرى لباس كل لون جائزاً لقوله – صلى الله عليه وسلم: «البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم» (رواه النسائي والحاكم صححه). ولقول البراء بن عازب رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: مربوعاً ولقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه) (رواه البخاري في صحيحه) ولما صح عنه صلى الله عليه وسلم من أنه لبس الثوب الأخضر واعتم بالعمامة السوداء.
- ومن الآداب الإسلامية أن تطيل المرأة المسلمة لباسها إلى أن يستر قدميها وأن تسبل خمارها على رأسها فتستر عنقها ونحرها وصدرها لقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٩] ولقوله تعالى: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن﴾ [سورة النور، الآية: ٣١] ولقول عائشة رضي الله عنها: (يرحم الله نساء المهاجرين الأول لما أنزل الله: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ شققن أكثف مرطهن فاختمرن بها) (رواه البخاري) ولقول أم سلمة رضي الله عنها: لما نزلت ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤسهن الغربان من الأكسية) (رواه الإمام مسلم في صحيحه).
- ومن الآداب الإسلامية في اللباس أن لا يتختم الرجل المسلم بخاتم من ذهب لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (في الذهب والحرير) إن هذين حرام على ذكور أمتي وقوله: «حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لنسائهم» وقوله وقد رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ خاتمك انتفع به فقال لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم» (رواه مسلم في صحيحه) لا بأس للمسلم أن يتختم بخاتم فضة أو ينقش في فصه اسمه ويتخذه طابعاً يطبع به رسائله وكتاباته ويوقع به الصكوك وغيرها لاتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً من فضة نقشه: (محمد رسول الله) وكان يجعله في الخنصر من يده اليسرى لقول أنس رضي الله

عنه كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم - في هذه - وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى (رواه مسلم في صحيحه).

- ومن الآداب الإسلامية في اللباس أن لا يرتدي الرجل رداء المرأة ولا ترتدي المرأة رداء الرجل لتحريم الرسول صلى الله عليه وسلم (ذلك بقوله) «لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء» (رواه البخاري في صحيحه) وقوله: «لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل كما لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال» (رواه البخاري في صحيحه) وأن لا يشتمل الرجل أو المرأة الصماء وهي أن يلف الثوب على الجسم ولا يترك مخرجاً منه لليدين لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأن لا يمشي في نعل واحد لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يمشي أحدكم في نعل واحد ليحقهما أو ينعلهما جميعاً» (رواه الإمام مسلم في صحيحه) وإذا انتعل بدأ باليمين وإذا نزع بدأ بالشمال لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى وإذا نزع فليبدأ بالشمال لتكون اليمنى أولهما تنعل وآخرها تنزع» (رواه مسلم في صحيحه).
- ومن الآداب الإسلامية أن يبدأ في لبس الثوب باليمين لقول عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب اليمن في شأنه كله في تنعله وترجله وطهوره) (رواه مسلم في صحيحه). وأن يقول المسلم إذا لبس ثوباً جديداً أو عمامة أو أي ملبوس جديد (اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، اسألك من خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له).

منارة الإلهام

عوضية أحمد يوسف
شاعرة من السودان

أم اللغات أعزك العلام
وتعطرت بحروفك الأنسام
أم البلاغة والفصاحة والنهى
لك في قلوب العاشقين مقام
إني أحبك يا لسان عروبتي
وسرى إلي من البديع غرام
صنت الحضارة وهي في فجر الصبا
وسعت لتخطب ودك الأقلام
وحملت تاج العلم حين تقاعست
كل اللغات ولفها الإحجام
وبعثته في الغرب نورا ساطعا
فتبددت ببريقه الأوهام
وحروفك العصماء أضحت معلماً
ومنارة أنوارها الإلهام
الشعر فيك قلائد الدر التي
رقصت على حباتها الأنغام
الله أودع فيك أسرار الهدى
هيهات تكشف سره الأفهام
ونقلت إعجاز السماء لصفوة
هم للبيان جهابذ أعلام
وحملت فرقان الإله فأينعت
منك الحروف وأشرق الإسلام
ووسعت آثار النبي وصحبه
وكتاب من خضعت له الأجرام
فغدا كلام الله فيك منورا
تتلوه في صلواتها الأقوام
شرف يفوق جلال كل فضيلة
فتتيه من عبق الهدى الأيام
حييت يا روح الوجود تحية
من قلب صب قد كساه هيام
وختام قولي بالصلاة على الذي
عزت به الدنيا وعم سلام

من أسماء الله الحسنى

بقلم: الربان قاسم لاشين

حث الله المهيمن عباده على النظر والتدبر والتفكر لمعرفة الكون العظيم وهو كتاب الله المنظور وبما جاء من آيات في القرآن الكريم وهو كتاب الله المقروء، وذكر الإعجاز العلمي داخل الإعجاز اللغوي البياني وقد أمرنا الله المهيمن على ذلك بما أشارت إليه الآية الكريمة ١٠١ من سورة يونس.

﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ .

فإذا نظرنا إلى كوكب الأرض الذي نعيش فيه نجده ساكناً وثابتاً ومستقراً دون أن نشعر بأي حركة له سوى الرؤية العلمية لتعاقب الليل والنهار، والرؤية العلمية لتعاقب الفصول الأربعة، والحقيقة العلمية أن لكوكب الأرض أربع سرعات فالسرعة الأولى هي دوران الكوكب حول محورها مرة كل ٢٤ ساعة بسرعة تصل إلى ١٠٤٤ميلاً/ساعة، وينتج عن هذه الحركة اختلاف الليل والنهار، وهو من الآيات الكونية. ثم مع الحركة اليومية تحدث إزاحة لكوكب الأرض على مدار بيضاوي المسار حول الشمس مرة كل سنة شمسية بسرعة تصل إلى ٦٧ ألف ميل/ساعة. وينتج عن هذه الحركة السنوية الفصول الأربعة، والأرض تتبع الشمس التي تدور بدورها حول نواة المجرة بسرعة تقدر بحوالي ٤٩٧ ميلاً/ساعة، وذلك خلال سنة كونية تقدر بحوالي ٢٥٠ مليون سنة أرضية، ثم مجرتنا درب التبانة بما فيها من شموس، وكواكب، وأقمار تجري في الفضاء الكوني بسرعة قدرها العلماء بمقدار ٤٣ ألف ميل/ساعة، وهي تجري في ذلك نحو نجم النسر الواقع وهو إتجاه الشمال الحقيقي الجديد الذي يشير إليه محور الأرض بعد مائة ألف سنة حيث يشير المحور حاليا إلى النجم القطبي أحد نجوم الدب الأصغر، كل هذه التحركات، وهذه السرعات، كشف عنها العلم الحديث ولكن هل فكر الإنسان كيف لا نشعر بالدوار أو الإغماء نتيجة هذه الحركات السريعة التي يجري بها كوكب الأرض؟ بل يبقى على سطح الأرض آمنا مستريحا لا تتمزق أوصاله ولا تتناثر أشلاؤه ولا يرتج المخ، ولا يهوى في الفضاء إنه هو الله المهيمن على عمارة الكون

هل فكر الإنسان كيف لا نشعر بالدوار أو الإغماء نتيجة هذه الحركات السريعة التي يجري بها كوكب الأرض؟

التي لا حدود ولا نهاية لها، ونوجه أسئلة إلى كفار اليوم من المهيمن على القوانين الكونية التي تسيطر على حركة الكون بما يحتويه من مخلوقات كونية مثل الشموس والكواكب والأقمار والنيازك دون أن يحدث أي تصادم فيما بينها إلا بما أمر المهيمن به لنعلم ونتعلم فيما حدث لكوكب المشتري في يوم ١٦ يوليو ١٩٩٤م حينما تم ضرب الكوكب العملاق بواسطة المذنب شوميكر-ليفي وتقابل هذه الضربة بما يزيد عن مائة قنبلة نووية ليعلم العلماء بهذه الكارثة وليبلغوا بني البشر بأن ما حدث لكوكب المشتري قابل للحدوث على كوكب الأرض ونحن على موعد مع المذنب هالي في ٢٠٦٢ولنتذكر أن الله هو المهيمن العزيز الجبار وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة ٢٣ من سورة الحشر ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون﴾.

القادر

يعلم أعلم علماء هذا العصر أن ملكوت الله الواسع يسيطر عليه الإله القادر جل شأنه وحده لا شريك له

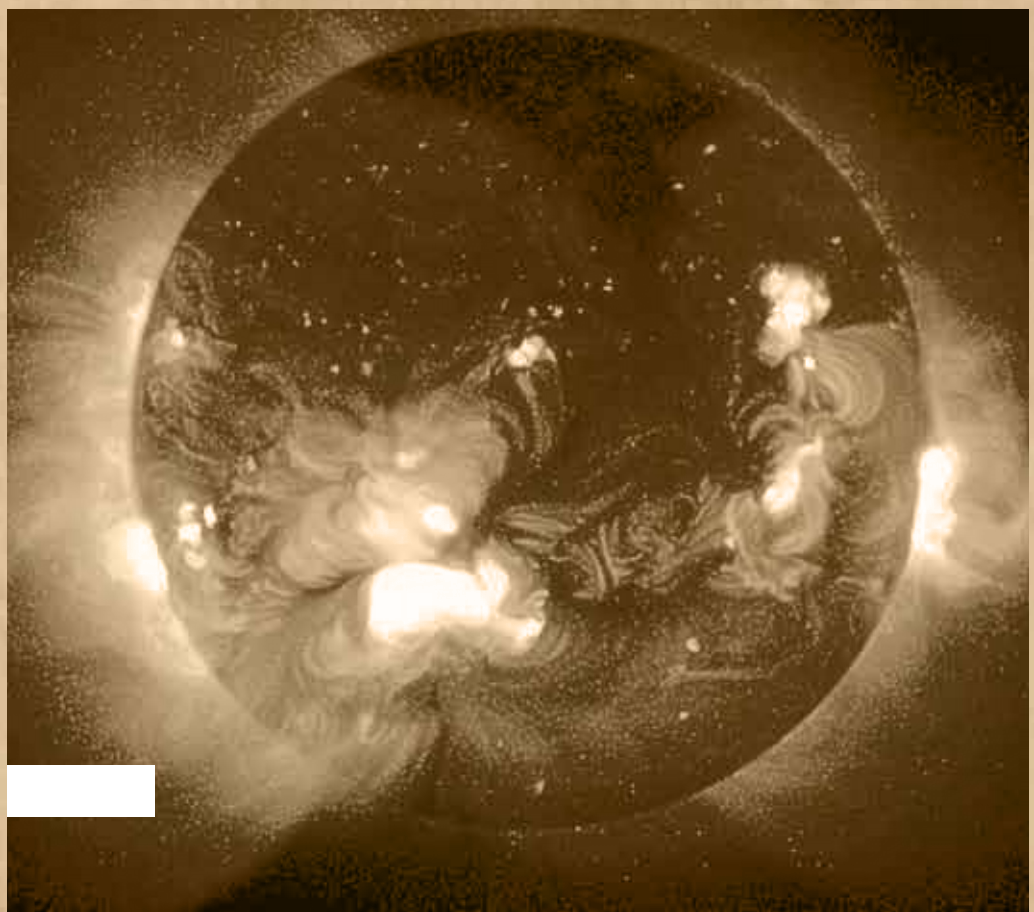

في ملكه ولا مساعد له في قدرته لأن القادر ذا الجلال والإكرام هو الذي خلق القوى الكونية التي تسخر القوانين الكونية ولقد عجز العلماء عن تحديد أبعاد عمارة الكون الذي نعيش فيه، ويكون السؤال الأول هل نحن وحدنا في عمارة هذا الكون الواسع؟ ولقد أفاد العلماء حديثاً بأنه يوجد قرابة ٣٠ مليون كوكب يتشابه مع كوكب الأرض وذلك طبقا لنظرية الاحتمالات، وبعد أن قدروا أن المجرة بها قرابة مائة ألف مليون مجموعة شمسية وأن الكون الواحد به مائة ألف مليون مجرة ويقف العلم بآخر إمكانيات الرصد وآخر ما يمكن حسابه بعلم الرياضيات وآخر أجهزة الكمبيوتر العملاقة حيث يوجب عدد من الأكوان لا يمكن لأجهزة البشر أن تقوم بحصرها ولهذا أشار الله القادر على أنه رب العالمين حيث أن كلمة (العالمين) هي الجمع المطلق لكلمة العوالم.

لقد حاول الإنس اختراق أقطار السموات والأرض تنفيذا لما جاء في كتاب الله في الآية الكريمة ٢٣ من سورة الرحمن ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾.

والسلطان تحمل معنى الإذن من الله القادر كما تحمل معنى سلطان العلم الذي يفتح به الله القادر على العلماء بالاجتهاد وانطلاق يدهم بمقدار انطلاق فكرهم وليس بانطلاق ألسنتهم وكانت أولى الرحلات التاريخية للإنس هي وصوله إلى سطح القمر في يوم ٢٠ يوليو ١٩٦٩م بواسطة مركبة الفضاء أبوللو ١١. ثم تلتها برحلة أبوللو ١٧ في ٧ ديسمبر ١٩٧٢م وكانت هذه آخر وأطول إقامة على سطح القمر وحينما استكبر الإنسان بما فتح الله عليه بالعلم جاءت رحلة تشالنجر في ١٢ يناير ١٩٨٦م فإنفجرت المركبة بما فيها من رواد الفضاء بعد ٧٠ ثانية لأن العلماء نسوا أن السلطان من الله العلي القادر فجاء اسم مركبة الفضاء هو تشالنجر أي بالاسم العربي المتحدي فأي تحد هذا للإنس الذين نسوا أن القادر هو الله؟ أما مركبة الفضاء فوياجور ٢ والتي أطلقت في ٢٠ أغسطس ١٩٧٧م وليس بها رواد فقد قامت بزيارة إلى كل من المشترى وزحل وأورنس ونبتون ثم انطلقت من هذا التاريخ خارج المنظومة الشمسية سابحة في الفضاء الكوني الخارجي لتذيع على العالم الخارجي بعدد ٨٤ لغة منها اللغة العربية (نحن أهل كوكب الأرض نود أن يتصل بنا من يسمعنا) وإلى الآن لم تصل إجابة سوى تشويش غير معلوم المعنى ولا تنتهي أحلام العلماء عند هذا الحد فهم في طريقهم لعملية رحلة يقودها رواد الفضاء إلى كوكب المريخ لدراسة إمكانية الحياة على هذا الكوكب الذي يتشابه مع كوكب الأرض، أما غزو النجوم فالحقيقة العلمية التي يجب أن نعرفها هي أننا لا نرى من النجوم إلا ماضيها فقط ولا نعرف من حاضرها أي شيء وأقرب نجم إلينا هو الشمس التي لا نراها إلا بعد ٨,٣ دقيقة من شروقها وذلك بعد أن تقطع أشعة الشمس بسرعة الضوء المسافة المتوسطة التي بيننا وبينها وتقدر بـ ٩٣ مليون ميل وبالتالي لا يمكن أن نرى شروق الشمس في حينه وكذلك أقرب نجم لنا بعد الشمس وهو الفاقنطورس يحتاج الأمر إلى ٤,٥ سنة حيث نرى هذا النجم في ماضيه فقط أما الله القادر عالم الغيب والشهادة

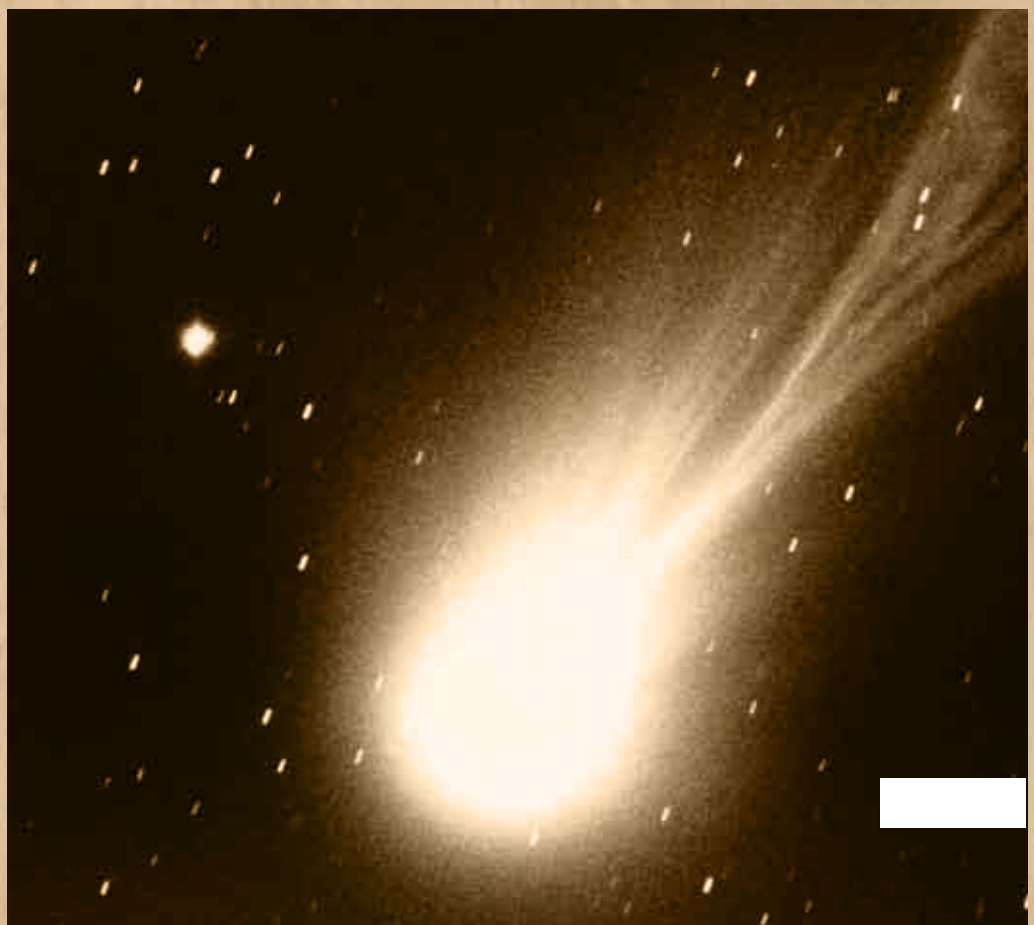

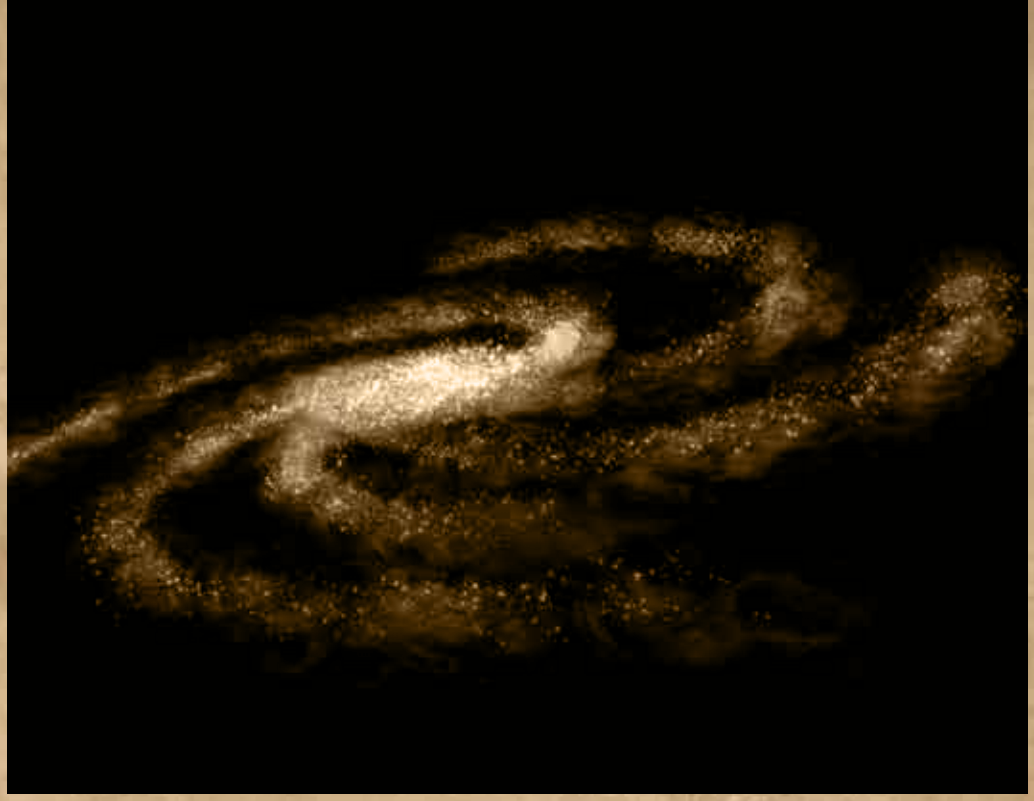

فهو خالق هذه النجوم وبالتالي فإنه يعرفها بأفعالها الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل وبالتالي فإن رحلات النجوم ذهاب بدون عودة وينتهي أعلم علماء عصره العالم (اينشتين) ذو العقيدة اليهودية بإنه آمن بوحدانية الله القادر على هذا الكون الفسيح وجاء في كلمته التي سجلها التاريخ.

(إن أعظم وأجمل شعور يصدر عن النفس البشرية هو ما كان نتيجة التطلع والتفكر والتأمل في هذا الكون العظيم وأبعاده التي فشل علم الرياضيات في تحديده، أن الذي لا يتحرك شعوره نتيجة هذا التأمل لهو الحي الميت. أن خفاء الكون وبعد أغواره وحالك ظلامه يخفي وراءه أشياء كثيرة ولا تستطيع عقولنا القاصرة أن تدركها إلا في صور بدائية أولية وهذا الإدراك للحكمة هو جوهر العبادة عند بني البشر. ان ديني هو ايماني الكامل والعميق بوجود قدرة واحدة مهيمنة تتراءى حيثما نظرنا في هذا الكون المعجز للأفهام. إن هذا الإيمان يوجد عندي معنى الله القادر على كل هذا الخلق).

إن أعظم وأجمل شعور يصدر عن النفس البشرية هو ما كان نتيجة التطلع والتفكر والتأمل في هذا الكون العظيم وأبعاده

وإذا كان الله هو خالق هذا العلامة الذي وضع النظرية النسبية ونظرية انشطار الذرة وغيرها من النظريات العميقة فإن ذلك يحتم علينا أن تتذكر قول الله تعالى في سورة يوسف الآية ٧٦: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾.

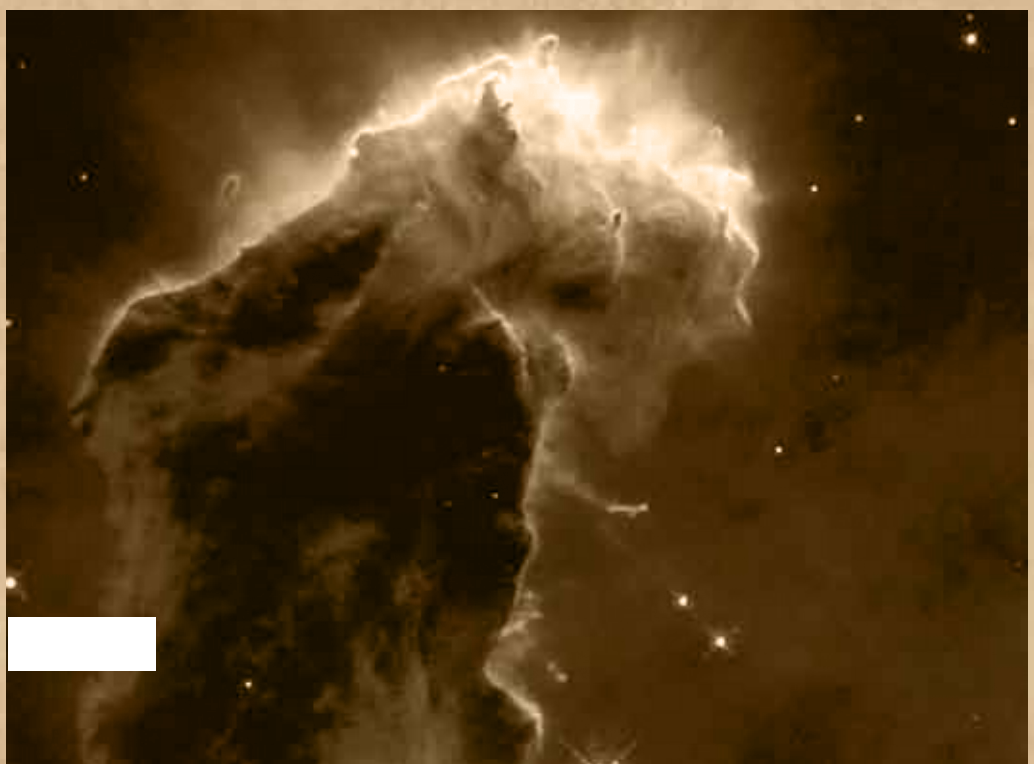

الاقتصاد في الإسلام
بين الوسطية والتوازن

أحمد حلمي سيف النصر

على خلاف سائر السياسات والفلسفات الروحية يدعو الإسلام إلى الرخاء الاقتصادي بل يعتبر الإسلام الغنى واليسر المادي هو أساس التقدم والسمو الروحي فصحة الأبدان في الإسلام مقدمة على صحة الأديان، وأنه لا يمكن أن تتوقع من محروم أو جائع مشرد سوى الرذيلة والانحراف.

وإقرار الإسلام للتفاوت في الثروة والدخول لا يعني كما تصور البعض أن الإسلام يقر وجود طبقات متميزة بسبب المال ذلك أن الإسلام لا يعرف ولا يقر الطبقية فضلاً عن أن الناس جميعاً لديه سواء والعامل الوحيد المميز بين الناس هو عامل التقوى بمفهوم الإيمان والعمل لا عامل المال، لذلك يطلب الإسلام تدخل الدولة لتحقيق التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع وإذابة الفوارق بينهم.

وبقدر ما ندد الإسلام بالفقر وأنه كاد يكون كفراً بل الفقر والكفر في نظره متساويان نجده يدعو إلى الثروة والغنى بل يعتبر السعي على الرزق من أفضل ضروب العبادة. ويعان المرء من مال الزكاة لاستكمال حاجته الضرورية ولا يعان من مال الزكاة للانقطاع للعبادة. (يقرر الفقهاء في أحكام الزكاة بأنه يعطى منها للمتفرغ للعلم على حين يحرم منها المتفرغ للعبادة ذلك أن عبادة المتعبد لنفسه أما علم المتعلم فله ولسائر الناس).

وأساس الثروة والغنى في الإسلام هو العمل ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ [سورة النحل، الآية:٧١] ﴿ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون﴾ [سورة الأحقاف، الآية: ١٩].

وتقوم السياسة الاقتصادية في الإسلام على أساس ضمان المستوى اللائق لمعيشة كل فرد، وأنه متى توافر لكل فرد في المجتمع الإسلامي حاجاته الضرورية بقدر الكفاية لا الكفاف باعتبار ذلك قوام الحياة الكريمة، فإن الإسلام يسمح بالثروة والغنى لكل حسب جهده وعمله باعتبار ذلك زينة الحياة الدنيا.

وضمان حد الكفاية لكل فرد في المجتمع الإسلامي هو حق مقدس تكفله الدولة الإسلامية لكل مواطن فيها بغض النظر عن ديانته أو جنسيته بحيث لا يسمح الإسلام بالثروة والغنى مع وجود الفقر والحاجة، وإنما يبدأ الغنى والتفاوت فيه بعد كفالة حد الكفاية لا الكفاف لكل مواطن.

كما أن الاسلام لا يقر الإسراف والتبذير ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين، وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٢٧] ولا يسمح بحال من الأحوال بالترف ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾ [سورة هود، الآية: ١١٦].

فتفاوت الناس في أرزاقهم ومعيشتهم ورفع بعضهم فوق بعض درجات وتفضيل بعضهم على بعض درجات ليس اعتباطاً وإنما هو بقدر ما يبذلونه من جهد وعمل صالح وصدق الله العظيم ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ [سورة النجم، الآيات: ٣٩، ٤٠، ٤١].

وقد نهى الإسلام عن التفاوت الشديد في الثروة والدخول بقوله تعالى: ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ [سورة الحشر، الآية: ٧]، ومن ثم فإنه من المقرر أن يتدخل الشارع الإسلامي لإعادة التوازن الاقتصادي عند افتقاده، كما اهتم الإسلام بحماية المال وصيانة حق المسلم فيه وحرم الاعتداء عليه أو أخذه بالباطل ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٨].

الصرف

د. كامل صكر القيسي

تعريفه لغة:

(الزيادة أو هو النقل والرد).

وفي المعجم الوسيط:

الصرف في الاقتصاد: (مبادلة عملة وطنية بعملة أجنبية).

والصرف شرعاً هو:

(بيع النقد بالنقد جنساً بجنس أو جنساً بغير جنس). أو هو: (بيع الأثمان بعضها ببعض).

مشروعيته:

يدل على مشروعية الصرف عموم قوله تعالى: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٧٥] وحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر، والشعير بالشعير والتمر بالتمر، والملح بالملح إلا سواء بسواء، عيناً بعين، فمن زاد أو ازداد فقد أربى» وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل ولا تشفّوا بعضها على بعض ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلاً بمثل. ولا تشفّوا بعضها على بعض ولا تبيعوا منها غائباً بناجز».

أنواع الصرف:

يتنوع الصرف الذي هو بيع النقد بالنقد إلى نوعين:

النوع الأول:

الصرف مع اتحاد الجنس.

النوع الثاني:

الصرف مع اختلاف الجنس.

النوع الأول:

الصرف بين نقدين متجانسين بأن يبيع الذهب بالذهب أو يبيع الفضة بالفضة، وهذه العملية تسمى عند الفقهاء (المراطلة) وفي الأوراق النقدية: صرف نقود ورقية إماراتية بنقود إماراتية أو عراقية بعراقية أو سورية بسورية مثلها وهكذا.

وفي جميع الأحوال يشترط فيها شيئان:

١ - التقابض في مجلس العقد.

٢ - التماثل في القيمة والمقدار.

وقد أجمع الفقهاء على أن الذهب: تبره وعينه سواء، وكذلك الفضة، ومصنوعهما ومصوغهما سواء، لا يجوز التفاضل في شيء منه، ولا أثر لقيمة الصنعة في ذلك.

النوع الثاني:

الصرف مع اختلاف الجنس ويكون بين نقدين غير متجانسين، كذهب بفضة، وهذا النوع لا يشترط فيه التماثل، وإنما يشترط فيه التقابض فقط وتجوز المفاضلة كصرف نقود إماراتية بعراقية أو بدولار مثلاً، وذلك لأن قيمة كل عملة تختلف عن قيمة العملة الأخرى، فله أن يأخذ مائة دولار مقابل ٢٠ ألف دينار عراقي أو مائة دولار مقابل ثلثمائة وثمانية وستين درهماً إماراتياً، لكن يشترط أن يتسلم المتصارفان ولا يفترقا قبل التسليم لقوله عليه الصلاة والسلام: «الذهب بالورق ربا، إلا هاء وهاء» وفي فتح القدير: (وإن باع الذهب بالفضة جاز التفاضل لعدم المجانسة ووجب التقابض).

شروط الصرف:

يجب في الصرف عند تبادل النقود أن تتوافر شروط أربعة:

١ - التقابض في مجلس العقد.

٢ - التماثل في القيمة أو المقدار.

٣ - انتفاء خيار الشرط من العقد.

٤ - عدم التأجيل.

أما التقابض في المجلس فذلك لأن النقود تختلف قيمتها وسعر صرفها بين يوم ويوم وزمن وآخر، فإذا افترق المتصارفان قبل القبض بطل العقد، حتى لا تفوت الفرصة من الانتفاع بالمال لأحد المتعاقدين دون الآخر، في حالة قبض أحدهما ولم يقبض الآخر.

(قال ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن المتصارفين إذا افترقا، قبل أن يتقابضا، أن الصرف فاسد).

ومع تطور الاتصالات والأجهزة التي تسهل العمليات التجارية على الرغم من توسعها كالبرق والهاتف ونحوها، إلا أن التقابض الذي يعني: خذ، وهات قد يبدو عسيراً، لذلك لابد من عقود أخرى تخدم العملية التجارية في الصرف وفقاً للضوابط الشرعية مما يسهل جواز

الحوالة أو الكفالة أو الرهن في بدل الصرف، فيجوز عندما تقتضي الحاجة أن يحيل أحد المتصارفين صاحبه على رجل آخر لقبض حقه، بشرط أن يكون المحال عليه حاضراً في مجلس العقد أو راضياً بالإحالة عليه كما هي الحال في المصارف. ويصح التوكيل في التسلُّم والتسليم أيضاً، وتقابض الوكيلين أو أحد المتعاقدين مع وكيل الآخر قبل افتراق المتعاقدين صحيح والعبرة في التوكيل بمجلس الموكلين بقاءً وافتراقاً لا مجلس الوكيل، لأن القبض من حقوق العقد فيتعلق بالعاقدين وفي الإحالة إن تعذر وجود المحال له فإن سند الإحالة المكتوب في مجلس العقد يقوم مقام وجود المحال له، كما في حال المصارف في أثناء تحويلها للعملات.

وأما في حال الكفالة فيقدم أحد المتصارفين كفيلاً بضمان حق صاحبه، بشرط أن يكون الكفيل موجوداً في مجلس العقد ليقبل الكفالة ويرضي الطرف الآخر، وكذلك الحال إذا قدم رهناً مقابل بدل الصرف لضمان حق صاحبه.

وبذلك نتوصل إلى أن من أراد صرف عملته بعملة أخرى غير موجودة في مجلس العقد كان من السهل عليه أن يدخل عقداً آخر مع عقد الصرف ليكون مسوغاً للعملية بضوابطها الشرعية، فهو بين أن يختار الحوالة مع الصرف، أو الكفالة مع الصرف، أو الرهن مع الصرف، مع الأخذ بعين الاعتبار تحديد سعر الصرف في مجلس العقد.

وأما التماثل - وهو عند اتحاد الجنسين - كذهب بذهب، وفضة بفضة، أو نقود ورقية إماراتية بمثلها مثلاً، فتجب المماثلة وإن اختلفت الجودة في الصياغة بالنسبة للمعادن، أو الحداثة والقدم فيما يخص الاوراق النقدية. فقد أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بقلادة فيها خرز وذهب - وهي من الغنائم - تباع، فأمر بالذهب الذي في القلادة فنزع وحده، ثم قال لهم: «الذهب بالذهب وزناً بوزن».

أما الخيار في عقد الصرف فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى بطلان الصرف إذا اشترط الخيار لأن الخيار يمنع ثبوت الملك وهو ينافي القبض المشروط.

وكذلك الحال في شرط عدم التأجيل، لأن هذين الشرطين منافيان لشرط التقابض، وعند تأخر القبض يفسد العقد.

وتأسيساً على ذلك أن الأسهم حال كونها نقوداً لما تحوّل بعد إلى أعيان يجب أن تحكمها هذه الضوابط وتلك الشروط المعتبرة بالصرف لكي تكون خالية من الربا، فإن اختل شرط من ذلك حرم التعامل بها، لأن بيعها وشراءها مبني على أساس أنها نقود وليست أعياناً، وحين تستثمر بالبيع والشراء تسري فيها قوانين الصرف وتبادل العملات.

فتـــاوى

تعريف البدعة وتقسيماتها

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه:

ما هي البدعة؟ وما الفرق بينها وبين المعصية؟ وأيهما أشد عقوبة عند الله؟.

الجواب وبالله التوفيق:

البدعة في اللغة: اختراع الشيء على غير مثال سبق، ومنه قوله سبحانه: (بديع السموات والأرض) أي مبدعهما ومحدثهما من العدم، وأما في الاصطلاح، فهي قسمان:

بدعة هدى، وبدعة ضلالة كما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى فما كان في خلاف ما أمر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيِّز الذَّم والإنكار، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله تعالى إليه وحضَّ عليه الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيِّز المدح، وقد قسم العلماء هذا النوع إلى خمسة أقسام:

١- بدعة واجبة: كالاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن حفظ الشريعة واجب، ولايتأتى حفظها إلا بمعرفة ذلك، وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب.. ومثل ذلك سائر العلوم الشرعية التي يتم بها الحفاظ على أصل الشريعة، أو العلوم التي تحتاج إليها الحياة.

٢- بدعة محرمة: كاختراع الأفكار الهدامة لدين الله تعالى كالقدرية والجبرية والمجسِّمة.

٣- بدعة مندوبة: كإحداث الرُّبُط والمدارس والاجتماع على إمام واحد في صلاة التراويح.

٤- بدعة مكروهة: كزخرفة المساجد، والتباهي بها ونحو ذلك.

٥- بدعة مباحة: كالتوسع في ملذات الطعام و الشراب واللباس ونحو ذلك.

وهذا التقسيم لسلطان العلماء العز بن عبد السلام في كتابه قواعد الأحكام ٢/ ١٧٢ وتبعه كل من أتى بعده من محدثين وفقهاء وغيرهم كابن الأثير في النهاية ١/ ١٠٦. والحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٢٥٤ وهو تقسيم استقرائي وله ما يدل عليه من نصوص السنة المشرفة.

ومن ذلك ما ورد عن سيدنا عمر رضي الله عنه من قوله في جمع الناس على صلاة التراويح: (نعمت البدعة هذه) كما أخرجه البخاري وذلك لأن هذا الفعل لما كان من أفعال الخير وداخلاً في حيِّز المدح سماه بدعة ومدحه، ومثل ذلك كل ما كان مندرجاً تحت أصل عام من أصول الشريعة..

وإذا كانت البدعة بدعة ضلالة فإن إثمها كبير كما قال صلى الله عليه وسلم: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» وهي معصية من جملة المعاصي منها الكبيرة والصغيرة، ولكن قد تكبر الصغيرة إذا استمر العمل بها وهو ما يكون في بدعة السوء. عياذاً بالله تعالى من ذلك. إذ لاصغيرة مع الإصرار كما لاكبيرة مع الاستغفار. والله تعالى أعلم

حكم المجاهرة بالمعصية

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه:

ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «كل أمتي معافى إلا المجاهِرون»

الجواب وبالله التوفيق:

قبل أن نجيب عن السؤال نذكر نص الحديث ليعلم، ونصه كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل أمتي معافى إلا المجاهِرون، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يافلان، عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه، فيصبح يكشف ستر الله عليه».

فالمجاهرة إذاً واضحة من نص الحديث، وهي إفشاء سر المعصية التي كانت قد سترت، وذلك لأن هذا الفعل فيه محادة لله تعالى، وعدم مبالاة بالمعصية، ممايدلُّ على أنه غير مكترث بأمر الله تعالى ونهيه، لذلك يعامله الله تعالى بعدله، ويعاقبه بسوء فعله، فلم يكن جديراً لأن يعفو الله تعالى عنه.

أما من ستر على نفسه المعصية فإن الله تعالى يقول له: «إني سترت عليك في الدنيا فأنا أغفرها لك اليوم» كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وذلك هو اللائق بالكريم، حينما يلقاه العبد الضعيف المشفق من ذنوبه. والله تعالى أعلم

المعاشرة الزوجية للمطلقة طلاقاً رجعياً، تثبت الرّجعة

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه:

طلقت زوجتي طلقة رجعية واحدة، وفي أثناء فترة العدة حيث كانت تعيش بمسكن الزوجية نويت في نفسي مراجعتها وقمت بتقبيلها وجماعها فهل يعتبر ذلك رجعة؟ أفيدوني بالحكم الشرعي لتقديمه للمحكمة إذا عصت الرجوع، وجزاكم الله خيراً.

الجواب وبالله التوفيق:

إذا ثبت أن الزوج جامع امرأته المطلقة طلاقاً رجعياً أثناء عدتها، فإن المرأة تعود بذلك إلى عصمته بما بقي له عليها من عصمة. وذلك لأن الرجعة تكون بالفعل عند الجمهور وهو ما نفتي به خلافاً للشافعية كما تكون بالقول اتفاقاً، ومن الفعل الذي تعود به الرجعية إلى العصمة الزوجية النكاح ومقدماته.

وإنما كان له حق الرجعة في العدة، لأن الرجعية لم تزل في حكم الزوجية في كثير من الأحكام، كوجوب النفقة والسكنى ولحوق الطلاق وبقاء التّوارث ووجوب العدة وغير ذلك. وقد سمَّى الله تعالى المطلق طلاقاً رجعياً بعلاً، يعني زوجاً كما في قوله سبحانه وتعالى: (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً)

والله تعالى أعلم.

مسألة في الطلاق

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه:

توجد مشاكل بيني وبين زوجتي منذ أشهر وهي مقيمة في بلدها وأخيراً دار نقاش ساخن جداً بيننا عبر الهاتف وقامت بسبّي وأغلقت الهاتف، فقمت بالاتصال مرة أخرى في نفس الوقت وقامت والدتها بالرد فقلت لها: ابنتك (طالق) فقالت: ماذا تقول؟ فقلت: ابنتك (طالق) مع العلم أن زوجتي حامل في الشهر الثامن وبخصوص نيتي وقتها لا أستطيع تفسيرها بشكل سليم. وجزاكم الله خيراً.

الجواب وبالله التوفيق:

قولك لأم زوجتك: ابنتك (طالق)، هو طلاق صريح يقع طلقة واحدة، أما تكرار هذا القول ثانيةً، فالظاهر من حالك وسؤالك أنه تأكيد للكلام السابق، فلا يتكرر وقوع الطلاق به ثانية؛ لأن التأكيد في حكم المؤكَّد، إلا أن تنوي به الإستئناف فيقع ثانية وأنت أعلم بإرادتك في ذلك. وأما كونها حاملاً فإن الحمل لا يمنع وقوع الطلاق، بل إن طلاق الحامل من قسم طلاق السنة؛ لأن المرأة في الحمل لا تزداد ضرراً بتطويل العدة، فعدتها واضحة لها، والرجل لا يقدم على طلاق الحامل إلا وهو يعلم حاله، وهو مستعد لتحمل النتائج، فأمرها في غاية الوضوح. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما في قصة تطليقه امرأته وهي حائض: «ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً» كما في رواية الترمذي رحمه الله تعالى. والله تعالى أعلم

حكم التنازل عن بعض الدين مقابل تعجيل الباقي

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه:

إنسان اشترى سلعة بالدين مع زيادة في السعر مقابل الدين، فقال المشتري: أعجل لك الأقساط مقابل التنازل عن هذه الزيادة. فهل يجوز ذلك شرعاً؟

الجواب وبالله التوفيق:

الذي ذهب إليه الأئمة الأربعة أن التنازل عن بعض الدين مقابل تعجيل الباقي قبل حلول أجله لا يجوز، لأنه من باب: ضع وتعجل، الذي هو من أبواب الربا كما نص عليه الدردير في أقرب المسالك ٣/ ٤١٠، والإمام النووي في الروضة ٤/ ١٩٦ وابن قدامة في المغني ٥/ ٤ ونقل ذلك عن مالك والشافعي والثوري وابن عُيينة وأبي حنيفة وغيرهم، وعلل ذلك بأنه يبذل القدر الذي حطه عوضاً عن تعجيل ما في ذمته، قال: وبيع الحلول والتأجيل لا يجوز، كما لا يجوز أن يعطيه عشرة حالَّة بعشرين مؤجلة، ولأنه يبيعه عشرة بعشرين، فلم يجز كما لو كانت معينة.

وهذا فيما إذا كانا قد اتفقا على التنازل عن بعض الحق، وهي المسألة المطروحة. أما إذا كان من غير مواطأة ولا عقد فيجوز، لأن كل واحد منهما متبرع ببذل حقه من غير عوض. وكذا يجوز إذا كان قد حلَّ الأجل فأبراه عن بعضه إما لعجزه عن سداده كله أو غيره، فإنه يجوز؛ لقصَّة ابن أبي حَدرد رضي الله عنه الثابتة في الصحيح. والله تعالى أعلم

حكم الوصية للوارث

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه:

لدي ولدي عدنان وهو القائم بجميع مصالحي وأعمالي ولا يرثني سواه وأمه وهي الزوجة الوحيدة لي. هل يصح أن نوصي له بالميراث؟ مع العلم أنه لا وصية لوارث.

وإنما أردت بالوصية أن أقطع سفاهة إخوتي من الأم الذين يُخشى أن يتعرضوا لولدي في حالة كونه هو الوارث. أجيبوا مشكورين ومأجورين.

الجواب وبالله التوفيق:

لا داعي للوصية لأن الوصية لاتجوز لأحد الورثة كما في الحديث الصحيح، وخوفك بتعرض إخوتك من الأم لولدك بعد موتك لا محل له؛ لأن الابن يحجبهم عن الميراث، ولا حظ لهم من التركة ما دام الابن موجوداً فإن الإخوة من الأم لا يرثون مع الفرع الوارث مطلقاً ولا مع الأصل الوارث الذكر أي الأب والجد وإن علا، فاترك الأمر على حسب ما يريده الله تعالى ولا تستعجل الأمر حسب إرادتك. والله تعالى أعلم

مسألة في الرضاع

وردنا سؤال يقول فيه صاحبه:

عندما توفيت أمي وكان عمري عاماً واحداً اخذتني عمتي، وقد كانت حاملاً في شهرها الثالث.

وأصل الإشكال أني أردت أن أتزوج حفيدتها ابنة أكبر أولادها وقد أخبرتني عمتي أنها أثناء فترة تواجدي عندها أعطتني ثديها لغاية إسكاتي مرتين أو ثلاث (أقصاها ثلاث مرات) أما عن وجود الحليب في ثديها وهي حامل فإنها لا تتذكر ذلك لطول المدة علماً أن آخر ولادة لعمتي منذ ٢٤ سنة فهل يعتمد على الحليب في صورة وجوده لدى المرأة الحامل - أي حليب ما قبل الولادة - في مسألة الرضاع وما حكم الشرع حيال وجودشك من حيث وصول الحليب لمعدة الرضيع الذي يعتبر الأساس في مسألة الرضاع. وكيف يمكن إثبات الرضاع ؟ فهل يكفي مجرد القول بذلك أم بشهادة شهود ؟ وهل تكفي شهادة النساء في ذلك.

وأختتم بالسؤال عن إمكانية الزواج من البنت التي ذكرتها متمنياً أن ترسلوا لي إجابتكم الوافية .

الجواب وبالله التوفيق :

١- التحريم بالرضاعة يتحقق بوصول لبن امرأة لجوف رضيع في مدة الحولين؛ وهو عند الأحناف والمالكية يحرّم ولو مصة واحدة أو بوصول اللبن إلى الجوف عن طريق الأنف .

٢- اما عند الشافعية والحنابلة فالتحريم يكون بخمس رضعات مشبعات.

٣- وحليب المرأة في فترة الحمل وما قبل الولادة يعتمد في التحريم إن وجد.

٤- الرضاع يثبت إذا أقرت المرضع به أو ثبت ببينه أو فشا.

٥- الشك في الرضاع لا يثبت به التحريم قضاء.

ونفتي بأن الورع والاحتياط يقتضي ترك هذا الزواج مادام لم يتم بعد. والله تعالى أعلم

الوصي مقدم على القاضي في ولاية النكاح

وردنا سؤال تقول فيه صاحبته:

أنا فتاة مطلقة، أبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً، يتيمة الأب، وليس لدي إخوة رجال وليس لدي أحد من رجال العائلة مَن أُوَلِّيه تزويجي، وقد تقدم إليَّ شاب وهو - والحمد لله - على دين وخلق، فهل يمكنني أن أولي القاضي تزويجي أوالوصي. علماً بأنه كان وليي في زواجي السابق؟.

بينوا لي وجزاكم الله خيراً.

الجواب وبالله التوفيق:

إذا كان حالك ما ذكر في السؤال، فإن وليك هو وصي الأب الذي أشرت إليه. فله أن يلي عقد نكاحك لمن تقدم إليك، ممن ترضين دينه وأمانته. فإن لم يوجد الوصي فالقاضي الشرعي هو الولي لقوله صلى الله عليه وسلم: «.. فالسلطان ولي من لا ولي له» كما أخرجه ابن حبان وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها. والله تعالى أعلم

كيف تبدأ بالتغيير؟

إبراهيم خادم

ربما تسأل نفسك أحيانا هل أحتاج إلى تغيير للأفضل ؟ و ما المعنى الحقيقي للتغيير بالنسبة لي ؟ وإذا ما أردت التغيير فمن أين أبدأ؟ وكيف أبدأ؟

للإجابة على هذه التساؤلات المهمة اتفق الباحثون في مجال التغيير الشخصي وأهمهم د. ستيفن كوفي صاحب كتاب العادات السبع بأن هناك ٨ مؤشرات أساسية لو وجدتها في نفسك أو لاحظتها على أبنائك أو أصدقائك أو موظفيك، فأنتم تحتاجون إلى التغيير فورا، وليس بالضروري أن تكون كل المؤشرات موجودة لديك، فكلما زادت المؤشرات، كلما زادت الحاجة للتغيير وزادت الصعوبة في التغيير، والعكس صحيح، فهيا بنا لنتعرف على هذه المؤشرات الثمانية :

الإحباط:

ربما تقول أو تسمع (أنا أريد أن أطور ولكن لا يوجد حماس من قبل المسؤولين، وأنهم لا يمنحوننا الفرصة لإثبات قدراتنا، لا توهب لنا الصلاحيات ...)، وربما لك الحق في قول ذلك، ولكن هل الحل هو أن نتكلم فقط دون فعل أي شيء؟، أم ماذا؟ ولتكن على يقين بأنك إن أردت أن تحدث تغييرا وأنت على هذا الإحباط فلن تستطيع، لأن المحبط فاقد الأمل، وفاقد الشيء لا يعطيه !!، فهل أنت محبط؟

الملل:

هل سمعت بقصة عادي بن عادي (كانت حياته عادية يذهب إلى العمل، ثم يرجع إلى البيت، يأكل طعام الغداء ثم ينام إلى العصر، يخرج مع أصدقائه حتى الساعة العاشرة، يرجع إلى البيت لينام، ويستيقظ في اليوم الثاني ... وهكذا) ما رأيك في هذه الحياة؟ لو كانت حياتك بهذه الطريقة، هل ستشعر بالملل؟ وعندها هل أنت محتاج إلى التغيير، فكر وقرر . .

كثرة المشاكل:

في العمل، في البيت، مع الأولاد، مع الأسرة، مع الأصدقاء ...، وهذا يدل على أن الشخص يستخدم طريقة خاطئة في حل مشاكله، وتحضرني مقولة أينشتاين (لن تستطيع أن تحل المشاكل بنفس العقلية التي أوجدت تلك المشاكل.)، لذلك حتى تحل مشاكلك، أنت محتاج إلى أن تغيير في أسلوبك في حل تلك المشاكل وبعقلية مبدعة لكي تكون النتائج على قدر تلك العقلية، فهل تعاني من كثرة المشاكل وصعوبة حلها؟

تكرار الفشل:

أحيانا يشعر البعض بأنهم فاشلون في معظم أمور حياتهم (الدراسة، العلاقات، البيت...)، ولكنهم ربما يؤمنون بالمبدأ الذي يقول (إذا فشلت مرة فقد اقتربت من النجاح) ولكن ماذا لو فشلت عشر مرات هل اقتربت أكثر ولم يبقى إلا القليل على النجاح؟ حتما هناك خلل في معايير النجاح عند هذا الشخص، وتكرار الفشل عند الشخص هو دليل على ضعف الإبداع، وأنه يدير حياته بطريقة تقليدية، فهل تعاني من تكرار الفشل؟

مقياس الإنتاجية في الحياة:

هل لديك إنجازات في الحياة؟ كم مشروع أنجزت؟ كم كتاب ألفت؟، ولكن الواقع يجيب على هذا التساؤل ويقول معظم الناس ليست لديهم إنجازات، لأنهم يعيشون حياة روتينية تحول دون تحقيق طموحاتهم وإنجازاتهم، إذا عليك أن تغير نمط حياتك اليوم، لتسطر إنجازاتك غدا، فهل تعيش من أجل إنجازاتك؟

الروتين وضعف الإبداع:

والإبداع عكس الروتين، فهو إيجاد شيء جديد من عدم، وأن ترى ما لا يراه الآخرون، وهذا المؤشر مرتبط بالمؤشر السابق، حيث أن قلة إنتاجيتك ترجع إلى ضعف الإبداع وروح الابتكار لديك ...فهل أنت مفكر مبدع أم مفكر تقليدي؟

الشعور بأن الحياة ليست مهمة:

وهي من أخطر مؤشرات التغيير،فللأسف الشديد قد يصل الإحباط إلى بعض الناس لدرجة أنه يهمش دوره في الحياة، وأن الحياة بالنسبة له لا قيمة، وينتظر الموت، وهذا السلوك قمة اللامبالاة، ولكن من المفترض أن يتمنى طول العمر لينتج أكثر، ويعبد الله أكثر، فيحقق الإنجازات في الدنيا، ويجني الحسنات في الأخرى، لا أعتقد بأن هذا اليأس من شيم المسلم.

تفوق المنافسين والأقران:

دعني أذكرك بأقرانك أيام الثانوية العامة والجامعة وفي العمل، أين هم الآن؟ هل حققوا النجاحات؟ هل تفوقوا عليك؟ أم أنت تفوقت عليهم؟ وربما إذا التقيت بأحدهم وهو في مكتبه الكبير وبيده صلاحيات الأمر والنهي، ويخبرك عن بعض مشاريعه وإنجازاته، سيصيبك شيء من الغبطة تجاهه، ومن حقك شعور ذلك كبشر، ولكن لتكن على ثقة بأن أقرانك الناجحين فعلوا أمرا لم تفعله أنت، هل هذا صحيح؟ إذا لتفكر في التغيير بأعصاب أشد، وبتفكير أعمق ...

والآن هل هذه المؤشرات قليلة أم كثيرة؟ حدد تلك المؤشرات لأنك بذلك تشخص نفسك وتحلل الأمور بعدسة أوضح وبتركيز أكبر نحو تغيير أفضل!!